جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

دراسة كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهـالي للشريف بن حبيلس

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص:
تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

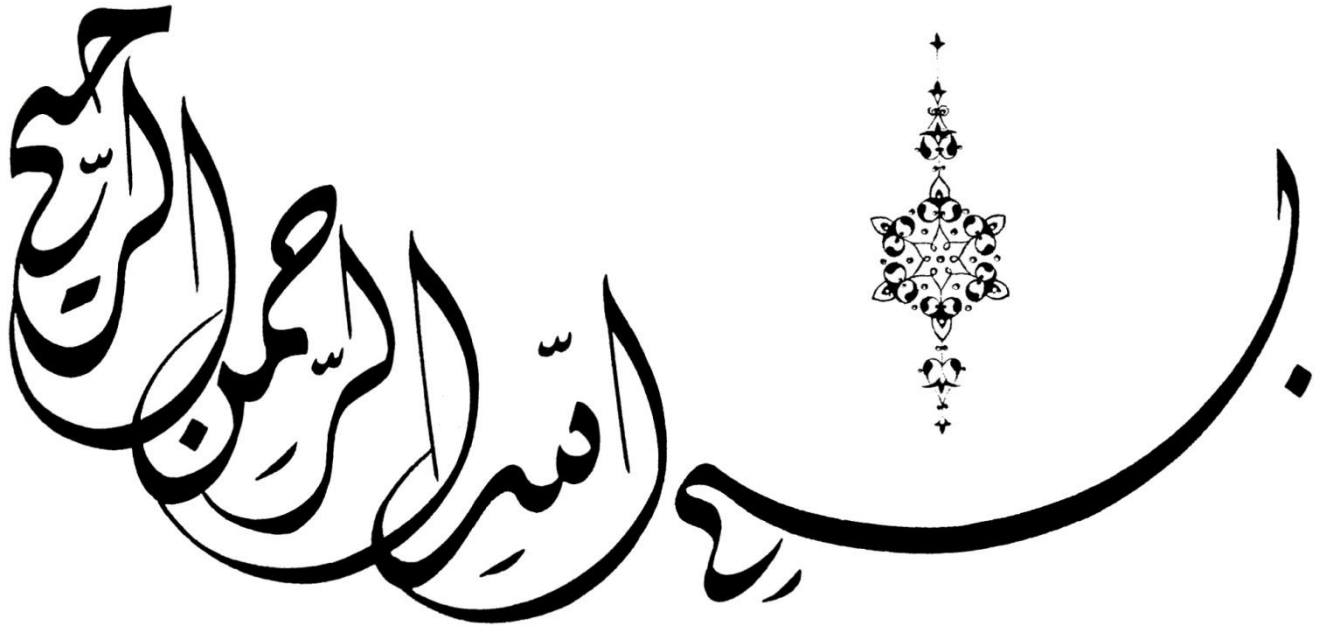
إعداد:
مروان بن تركي
فيصل بوقندورة

إشراف:
د. عبد الرزاق تومیات

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
كريم مقنوش	أستاذ محاضر أ	رئيساً
عبد الرزاق تومیات	أستاذ محاضر أ	مشرفاً ومقرراً
مختار سالمي	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشاً

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2021- 2022م



شكر وعرفان

أول الشكر هو لله عزّ وجل الذي هدانا لنور العلم ولولاه ما كنّا لنهتدي

والشكر لله ثانيا وأبدا الذي منّ علينا بقدرة الصبر

ووفقنا لأن نصل إلى هذا المبتغى.

والشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل المشرف "عبد الرزاق تومیات" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيّمة.

كما نتوجه بالشكر والعرفان والامتنان

إلى كل من استفدنا منهم خلال إعداد هذا العمل

وأخيرا إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة الدكتور يحي فارس بالمدية

علي حرصهم وتوجيهاتهم ونخص بالذكر الأستاذين "رشيد مياد"

و"كريم مقنوش"

فلهم منا جميل العرفان وكامل الشكر والتقدير .

فيصـــل بـــــوقندورة

مـــروان بن تركـي

إهـــــــــــــداء

أهدي هذا العمل إلي من قال الله عز وجل في حقهما :

" (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا) "الإسراء : 24

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى اقـــــرب الناس إلي قلـــــبي

إلي القلب الحنون والثغر الباسم أمـــي الغالية "زكيـــــة " التي بذلت الكثير وتحملت الكثير لتراني ها هنا .

إلى من سعى لأنعم بالراحة والهناء والذي لم يبخل على بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح

أبـــــــــــي الحبيب " لخضـــــــر" ألذي تعـــب لأفرح أنا .

حفظكما الله وأدامكما لـــــــــي

إلـــي الذين حبهم يسري في دمي أخي وأخواتي

" يوسف و تفاحة و أميرة و إيمان و آيـة و هاجر وابن أختي عمـــاد"

إلي جدتي الغالية "خيرة" حفظها الله

إلى خالي العزيز "رشيد" الذي لم يبخل علي بشيء في سبيل إعانتي

إلى خالي العزيز" سميـــر" الذي كان لي عونا وسندا كبيرا في مشواري

إلي كل عائلتي وأقاربي وأصدقائي.

مـــروان بن تركـــي

إهـــــــــــــداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

أهدي عملي وثمرة جهدي

إلى الذي إن نسيت كل الدنيا لن أنساه ، إلى الذي غاب عن عيني

وليس عن فؤادي يغيب

أبي الحبيب "الونـــــــــاس"

رحمه الله واسكنه فسيح جنانه .

إلي من ربتني وأعانتني بالصلوات والدعوات

الينبوع الذي لا يمل العطاء

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى أغلى إنسان

في هذا الوجود

أمي الحبيبة "حـــــدة"

حفظها الله لي وأطال في عمرها

إلي من حبهم يسري في فؤادي إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى كل من أحبهم في الله وكل من يشاركني في الأفراح والأحزان

إلى كل من كان لي سندا في طلب العلم

إلى أرواح أجدادي وشهداء هذا الوطن إلى جزائر العزة والكرامة

فيصـــــل بـــــــوقندورة

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
ط	الطبعة
ج	الجزء
م	المجلد
د. ط	دون طبعة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
ص	صفحة

المقدمـة

لقد نجحت المدرسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، إلى حد ما في إعداد مجموعة من المثقفين الجزائريين الذين تأثروا بمبادئها نظير ما تلقوه من توجيه وتكوين على يد المعلمين الفرنسيين، اللذين سخرتهم فرنسا لاستقطاب هذه الفئة وسلخها عن مقوماتها الشخصية والحضارية، ولقد عرفت هذه الفئة أو هكذا أطلقت على نفسها "النخبة" ،والتي بدورها انقسمت إلى صفين، صف دافع عن فكرة الجزائر الجزائرية بمختلف الوسائل والأساليب نظرا لدرجة الوعي التي كانت تتمتع به ، مثل عبد القادر المجاوي و عبد الحليم بن سماية و محمد بن شنب والأمير خالد وغيرهم.

أما الصف الثاني الذي وقف مع الفرنسيين وظل يدافع عن فكرة الجزائر الفرنسية والذي عرف بالنخبة الفرانكفونية (المفرنسة)، ولقد كانت هذه الفئة تؤمن بالدور الاجتماعي المنوط بها لأنها تعتبر نفسها طبقة قيادية تمتلك الشرعية الثقافية والاجتماعية التي تؤهلها وتمنحها المكانة العليا في هرم السلم الاجتماعي للأهالي ، وبالتالي تتحدث باسمهم، ومن بين هؤلاء محمد الصالح بن جلول والدكتور ابن التهامي و فرحات عباس والشريف بن حبيلس.

ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على موضوع (دراسة كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي للشريف بن حبيلس) بسبب غياب الدراسات الأكاديمية حوله ومحاولة منا للوقف على بعض مواقفه التي تناولها في كتابه .

دواعي اختيار الموضوع :

كان اختيارنا للموضوع لأسباب ذاتية وموضوعية:

الأسباب الذاتية :

أن هذا الكتاب جدير بالدراسة والتنويه أردنا من خلاله الاطلاع على كتابات مؤلفه الذي عبر عن مواقفه من القضايا التي تعتبر جوهر اهتمامات الأهالي (الجزائريين) خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

الأسباب الموضوعية :

– الأهمية التي يكتسيها هذا الموضوع في تاريخ الحركة الوطنية .

- قلة الدراسات الأكاديمية لهذا الكتاب .
- التعرف على شخصية المؤلف .
- الوقوف على نموذج من النخبة الفرانكفونية الذي عرفته الساحة السياسية الجزائرية.
- محاولة تقديم بحث علمي لإثراء المكتبة العلمية تتناول دراسات تاريخية .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في كونها تعالج جوانب عسكرية وسياسية ، اقتصادية واجتماعية ،ثقافية من منظور النخبة المفرنسة والكتلة المحافظة .

الإشكالية :

بعد اطلاعنا على كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي للشريف بن حبيلس طرحنا إشكالية رئيسية لموضوعنا تمثلت في ما يلي:

- ما هي توجهات الكاتب ومواقفه من القضايا الوطنية زمن الاستعمار؟

و تفرعت عنها إشكاليات جزئية هي:

- كيف كانت ظروف الجزائر زمن ظهور هذا المؤلَّف؟
- ما هي أهم القضايا التي عالجها المؤلف في كتابه؟
- هل كان موضوعيا في طروحاته وأفكاره؟

الدراسات السابقة للموضوع :

لم نجد دراسات تناولت هذا الكتاب بالخصوص، وأغلب الدراسات التي أتيحت لنا تتكلم عن المؤلف وتشير إلا بعض القضايا التي عالجها :

- محمد السعيد قاصري ، النخبة الجزائرية الفرانكفونية بين التطرف والاعتدال ، شريف حبيلس نموذجا، 1891-1959، "مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية "، العدد 13، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، 2017. والذي أفادنا بشكل كبير في المبحث الثاني وذالك في تعريف شخصية المؤلف وكذا مواقفه وأرائه.

– البشير منصور، النخبة الجزائرية الفرانكفونية، الشريف بن حبيلس أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف ، المسبلة ، 2017–2018، والذي أفادنا في معرفة نشاطه السياسي والثقافي واهتماماته الفكرية ومواقفه من قضايا عصره .

– نفيسة دويدة ،المسألة الثقافية في الجزائر من منظور التيار الليبرالي للحركة الوطنية (1927_1945) ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ، 2009_2010 ، والذي أفادنا في التعريف بالكاتب والكتاب وتحليل أهم الأفكار .

المنهج المتبع في الدراسة :

لقد اعتمدنا على منهجين أساسيين في دراستنا

– المنهج التاريخي الوصفي ولقد استعنا به في دراسة الأحداث وترتيبها ووصفها في كل مراحل الدراسة.

– المنهج التحليلي النقدي حيث قمنا بدراسة وتحليل محتويات الكتاب ثم نقدها بالنصوص التي عاصرت هذه الدراسة

الخطة المعتمدة في الدراسة :

تتكون دراستنا من مقدمة وخاتمة وثلاث مباحث، وفي متن كل مبحث ثلاث مطالب:

المبحث الأول تحت عنوان "أوضاع الجزائر (1830–1914) ، لقد درسنا هذه الفترة منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى غاية تأليف هذا الكتاب لمعرفة مختلف الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عايشها الكاتب أثناء تأليفه لهذا الكتاب.

المبحث الثاني تحت عنوان "الدراسة الظاهرية للكتاب وتقييمه "وتطرقنا فيه إلا التعريف بالمؤلف وذكر جوانب من نشاطه السياسي والثقافي ويليها البطاقة الفنية وتقييم عام للكتاب.

المبحث الثالث تحت عنوان أفكار ابن حبيلس من خلال كتابه وهنا تكلمنا عن محتوى الكتاب والقضايا التي عالجها: قضايا سياسية وعسكرية وقضايا اقتصادية واجتماعية، وقضايا ثقافية.

صعوبات الدراسة:

– أكبر صعوبة واجهتنا هي قلة الكتابات التاريخية و الدراسات التي تناولت الكتاب بصفة مباشرة.

– صعوبة إيجاد ترجمة وافية لشخصية الشريف بن حبيلس من المصادر، فلم يتطرق لتعريف هذه الشخصية سوى بعض المقالات، كذالك وجدنا تضاربا في تاريخ ازدياده ووفاته التي اختلفت حولها الروايات .

– غياب تسلسل الأحداث والترتيب المنهجي في الكتاب وتفاوت في المعلومات من صفحة إلى أخرى.

– توجه المؤلف المتشبع بالثقافة الفرنسية ،هذا ما جعلنا نواجه صعوبة في دراسة مواقفه المتقلبة بين تمجيد الاستعمار الفرنسي وبين دفاعه عن بني جنسه ، وصعوبة تحليل أرائه التي تناولها في هذا الكتاب.

المبحث الأول:

أوضاع الجزائر ما بين سنتي 1830 – 1914

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية

المطلب الثالث: الأوضاع الثقافية

المبحث الأول: أوضاع الجزائر بين (1830-1914)

إن دراسة تاريخ الجزائر تتطلب منا رسم صورة واضحة عن مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، غير أن تاريخ الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي لا يزال يكتنفه الغموض من عدة جوانب ، ذلك أن معظم الدراسات ركزوا على الجانب السياسي فيما ظلت الجوانب الأخرى بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث، ولهذا ارتأينا أن نشير إلى أوضاع الجزائر منذ عام 1830 إلى غاية 1914م، وهي نفس الفترة التي عايشها المؤلف إلى غاية إصدار كتابه سنة 1914.

المطلب الأول: الأوضاع السياسية:

كانت السياسة الفرنسية في الجزائر منذ 1830 تهدف إلى جعل الجزائر قطعة فرنسية ، وكذا الطمس التاريخية للشخصية الوطنية وإزالتها من الاعتبار ، أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزعج أمن فرنسا في الجزائر[1]، وهذا ما أعلنت عنه فرنسا بأن الجزائر جزء من أراضيها بموجب المرسوم الصادر في 1934 وكذا قانون مارس 1849[2].

وقد كان الاستيطان الركيزة الأساسية لهذه السياسة، حيث عملت إدارة الاحتلال على تشجيع هجرة الأوربيين، وذلك بواسطة الامتيازات والإغراءات الاقتصادية الممنوحة لهم .

ورغم أن تشجيع الاستيطان قد شرع فيه منذ بداية الاحتلال خاصة في عهد الجمهورية الثانية 1848 _1852م ،غير ان هذه السياسة لم تشهد نجاحا كبير مثلما شهدته خلال الجمهورية الثالثة 1870-1914م.[3]

---

[1] أكرم بوجمعة ، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، "مجلة كلية التربية"، العدد 28، الجزائري ، 2016/ ص 164.

[2] مولود قرين ، عمر بن قدور الجزائري دوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1886 – 1932م) ، ج1، ط1، دار الخليل العلمية، الجزائر، .2013 ،ص 31.

[3] نفسه، ص 31.

فقد شهدت الجزائر من الاحتلال إلى بداية مطلع القرن العشرين هجرة استيطانية أوربية واسعة، وصفها المؤرخ شارل أندري جوليان[1] بقوله: " بعد دخول الجيش الفرنسي للجزائر أنزلت السفن القادمة من مرسيليا و اسبانيا و ايطاليا جماهير غفيرة من الأوربيين، لا ضمير لهم مولعين بحب الدراهم، فانتشروا في البلاد الجزائرية كالبلاء متكالبين على بيع العقارات وشرائها ، لا يهمهم إلا الأرباح الطائلة " حيث بلغ عدد الأوربيين في الجزائر عام 1832 حوالي 25000 نسمة منهم 2500 مستوطن، وقد أدى تشجيع حركة الهجرة الاستيطانية التي كان يقودها بصورة رئيسية الجنرال بيجو إلى تأسيس مراكز استعمارية على السواحل في المدن الساحلية[2].

لقد خلفت سياسة الاستيطان آثار وخيمة على المجتمع الجزائري في الميدان السياسي، لأنها جردته من كل النشاطات والتمثيلات حيث أصبح المسلم الجزائري محروما من كل حقوقه، فمن حيث المعاملات الفرنسية فهو يقوم بكل واجباته دون أي حقوق[3].

أما من حيث التمثيل الإداري فلا شك ان فرنسا أهم ما ميزها هو التفريق العنصري، إذ أن تمثيل الأهالي الجزائريين قليل رغم أنه العنصر الأصلي والغالب على سكان الجزائر ، أما المستوطنون فهم أغلبية التمثيل الإداري رغم قلة عددهم ، وهذا كله من أجل حرمان الجزائريين من التمثيل السياسي بهدف تحقيق دمج الجزائر بفرنسا، ومن جهة أخرى نجد حرمان الأهالي من الوظائف العليا في الحكومة لأن جل المناصب كانت للموظفين

[1] ولد بمدينة كان الفرنسية عام 1891 و توفي 1991، مؤرخ وصحافي فرنسي مختص في شؤون المغرب العربي ، درس في معهد الدراسات السياسية بباريس، انظر عامر أقحيز، المؤرخ شارل أندري جوليان ودوره في كتابة تاريخ الجزائر ، "بحوث ودراسات العلمية"، العدد 2، قضايا تاريخية ، 2016، ص 200.

[2] أكرم بوجمعة ، المرجع السابق، ص 164.

[3] مروة بن مادي ،سمية مقدم ، الاستيطان الأوربي في الجزائر وآثاره على المجتمع الجزائري (1834-1870) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر ،كلية العلوم الانسانية قسم التاريخ ، جامعي احمد دراية ، أدرار ، الجزائر، 2019-2020، ص 48.

الفرنسيين إلى جانب ذلك لم يسمح لهم في المشاركة في الانتخابات التي كانت تجرى من أجل تكوين مجالس بلدية أو مجلس الشيوخ أو مجلس النواب الفرنسي[1].

وبالرجوع إلى النظام الإداري فقد ميزته التطورات التالية:

خضعت المدن الجزائرية في السنوات الأربعة الأولى من الاحتلال لحكم الجيش الفرنسي المباشر ولم يكن لفرنسا سياسة واضحة بخصوص الجزائر نظرا لانشغالها بأوضاعها الداخلية الغير مستقرة.

أرسلت الحكومة الفرنسية لجنة تحقيق عام 1833 عرفت باللجنة الإفريقية، والتي اعترفت بجرائم الجيش الفرنسي، رغم لمسها بالكثير من الحقائق ، لكنها أوصت بالحفاظ على ملكية فرنسا للجزائر وبناءا على ذلك أصدرت فرنسا قرار 22 جويلية 1934 والذي اعتبر الجزائر ملكية فرنسية في إفريقيا الشمالية، يديرها حاكم علم عسكري يمارس مهامه تحت وصاية وزارة الحرب، يساعده في عمله " معتمد مدني و نائب عام ومدير مالي، عدد آخر من الضباط السامين يتشكل منهم مجلس الإدارة " وقسمت الجزائر إلى ثلاث مقاطعات وكل ولاية إلى دوائر وبلديات، لم يتجاوز عددها في البداية إلا ثلاثة هي مقاطعات الجزائر عنابة، وهران[2].

وأقرت فرنسا منذ بداية الاحتلال جملة من القرارات والأمريات، تأكد أيضا بأن الجزائر جزء من فرنسا كدستور 4 نوفمبر 1848 في مادته 109، وقانون الجنسية (سيناتوس كونسيلت) في 14 جويلية 1865 ، الذي أتاح للجزائريين نظريا حيازة الجنسية الفرنسية بشروط ، أهمها الانسلاخ من قانون الأحوال الشخصية الإسلامية[3].

---

[1] بن مادي و مقدم، المرجع السابق، ص 48.

[2] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م) ، ج1، دار المعرفة، الجزائر ، 2006، ص ص 139- 140.

[3] هشام ذياب، دور النخبة الجزائرية بالمشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019-2020، ص 81.

وقد تأثر أسلوب إدارة الجزائر بوجود رأيين مختلفين في الأوساط الاستعمارية هما:

رأي العسكريين ويتمثل في اتخاذ بعض الرؤساء التقليديين الجزائريين الموالين للاستعمار والموقف الثاني للمدنيين الذي يقوم على أسلوب الإدارة المباشر، فقد طبق في المناطق الساحلية التي يتمركز فيها المستوطنون نظام مدني شبيه بذلك المتبع بفرنسا، وطبق في المناطق الداخلية والجنوبية حكم عسكري على الجزائريين يعتمد على المكاتب العربية التي ظهرت عام 1833.[1]

أما بالنسبة للنظام المدني فقد صدر مرسوم ملكي في 15 أفريل 1845 بقضية إنشاء حكم مدني بالمناطق التي توجد بها الجاليات الأوربية المناطق الساحلية، كما ذكرنا سابقا ولم يعرف هذا التنظيم الجديد تجسيدا حقيقا إلى بعد استقالة الجنرال بيجو سنة 1847.

كما تقرر أيضا إنشاء ثلاث مقاطعات في الجزائر ووهران وقسنطينة وفي كل مقاطعة أراضي خاضعة للحكم العسكري وأراضي مختلطة . [2]

وفي سنة 1862 استبدل نظام المقاطعات الإدارية بنظام العمالات، وهو النظام نفسه المعمول به في فرنسا لكن عامل العمالة ظل خاضعا لسلطة وزير الحربية، وفي كل عمالة كان يوجد مجلس تنفيذي إداري مسؤول عن أملاك الحكومة والشؤون الإدارية، وأما التنظيم البلدي فقد بدأ بشكل محدود وتوسع تدريجيا، وكانت مقاعد المجالس البلدية بالمناطق المدنية تضم ثلثين من المستوطنين والثلث الباقي من الأهالي.

وقد أقرت الحكومة الفرنسية بعد ثورة 1848م أسلوب الانتخابات بدل التعيين لكن الجيش كان يتدخل لتزوير الانتخابات، وفي ديسمبر 1866م

[1] بلاح، المرجع السابق، ص 140.

[2] عبد الله مقلاتي ، المرجع في تاريخ المعاصر (1830_1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص 102.

قرر نابليون الثالث[1] تغيير أسلوب الانتخابات وأصبح يقوم بتعيين رئيس البلدية ونوابه ، في حين يقوم رئيس العمالة بتعيين بقية أعضاء المجلس البلدي وكان يسعى المستوطنون لتكريس النظام المدني وتوسيع نفوذهم في الجزائر على حساب العسكريين والأهالي[2].

ولقد وجد نابليون الثالث أن الصراع بين المستوطنون والعسكريين قد بلغ أشده ، حيث تمكن المستوطنون من استمالة السلطات في باريس رغم سعي وزارة الدفاع عن موقفها في الجزائر ، لان الغلبة كانت للحكم المدني ولم يكن هناك مناص من استمرار هذه السياسة التي سايرها نابليون الثالث ، حتى تاريخ 24 جوان 1858م حيث قرر إنشاء وزارة للجزائر والمستعمرات ، وألغيت وظيفة الحاكم العام واستبدلت بوظيفة القائد الأعلى للقوات العسكرية.[3]

وعلى إثر سقوط نابليون الثالث في 4 سبتمبر 1870م انتقلت السلطة من أيدي الجيش إلى أيدي المدنيين ، وقامت الجمهورية الثالثة، وقد ركزت السياسة الاستعمارية في هذه المرحلة على وجه الخصوص على عدم تمكين الشعب من الوقوف على قدميه مرة أخرى، عن طريق إخضاعه لقوانين استثنائية[4].

---

[1] ولد 20 أفريل1808 بباريس أول القادة الفرنسيين منذ سنوات الأولى للاحتلال وطيلة فترة الحكم العسكري 1830-1870م بفضل شهرته انتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية الثالثة وأعلن نفسه إمبراطورا عام 1852م حكم فرنسا 19 عاما إلى غاية سقوط إمبراطورتيه ، ياسمين مواسي ، حفصة زغير ،السياسة الاستعمارية بالجزائر في عهد نابليون الثالث 1852-1870م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر ،كلية العلوم الانسانية قسم التاريخ ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي 2020-2021، ص 26.

[2] مقلاتي ، المرجع السابق، ص ص 102-103.

[3] نادية طرشون ، سياسة نابليون الثالث العربية، "مجلة دراسات أبحاث "، العدد 26، جامعة يحي فارس ، المدية ، 2017 ، ص 1.

[4] أشواق نعامنبة وشربفة قواسمية، أوضاع الجزائر السياسية مطلع القرن العشرين 1900_1919م ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر ،كلية العلوم الانسانية قسم التاريخ ، جامعة 8 ماي 1945، قالمة 2019-2020، ص 8.

إن هذه السياسة التي دأبت فرنسا على تطبيقها في الجزائر منذ عام 1871م، قد حققت أهدافها إلى درجة أن الجزائريين أصبحوا يعيشون في شبه أزمة، ففي الفترة ما بين (1870-1914) ازدادت حركة الهجرة إلى الجزائر ولتجسيد تلك السياسة عملت فرنسا على إصدار بعض القوانين والإجراءات التعسفية كمرسوم كريميو في 24 أكتوبر 1870م، الذي يقضي بتمتع اليهود بالجنسية الفرنسية وقانون الإدماج الذي قد شرع في تطبيق هذه السياسة منذ 1870م.[1]

وقد تعززت بالقوانين الاستثنائية كقانون الأهالي الذي صدر سنة 1881م، من خلاله أعطيت للسلطة الاستعمارية صلاحيات استثنائية، مما كرس المزيد من الهيمنة على الجزائريين العزل.[2]

لقد صدرت عدة قوانين لإرهاب الشعب وإحكام السيطرة علا الجزائر و ادمجاها في فرنسا، ومن أهمها نجد:

- قانون 19 ديسمبر 1900، وهو قرار يخول للمستوطنين صلاحيات واسعة في حكم الجزائر، وذلك بمنح الجزائر ميزانية مستقلة وإنشاء مجلس النيابات المالية .

_ قرار 24 ديسمبر 1900م الذي ينص على فصل ميزانية الجزائر عن الميزانية الفرنسية.

- مرسوم 17 جويلية 1908م ، ينص على إحصاء الشباب الجزائريين الذين بلغوا 18 سنة، وذلك قصد تجنيدهم في الجيش الفرنسي.[3]

---

[1] قمر يهوني و فتيحة حمودي ، إسهامات الجزائر في النهضة المشرقية ما بين 1830-1920م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المقاومة الحركة الوطنية ، جامعة يحي فارس ، المدية، 2020-2021، ص 9.

[2] بوجمعة. المرجع السابق، ص 165.

[3] نعامنية و قواسمية، المرجع السابق ، ص (21-23).

وفي سنة 1912، سنت فرنسا قانون التجنيد الإجباري، حيث بادرت السلطة الفرنسية في كل أنحاء الجزائر لإحصاء شباب الخدمة العسكرية [1]، وقد كان لهذا القرار صدى عميقا تفجرت منه الحالة في الجزائر على أشكال من المقاومة والكفاح وحملات من الاحتجاج والمظاهرات[2].

وفي هذه الفترة كان الجزائريون محرومين من حقوقهم السياسية ومجردين من ممتلكاتهم، عكس المعمرين الذين تمتعوا بجميع الحقوق المادية والمعنوية.

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية

أ - الأوضاع الاقتصادية:

كانت الجزائر قبل الاحتلال تتمتع باقتصاد زراعي تقليدي يتماشى مع متطلبات المجتمع، الذي كان بدوره يعرف تماسكا إلى حد كبير، ولكن منذ تعرضها للغزو الفرنسي تغيرت تلك الأوضاع وانعكست بالسلب على الجزائريين.[3]

إن الإدارة الفرنسية الاستعمارية بالجزائر لم تنصب في بداية أمرها على الهياكل الاقتصادية، هذا إذا استثنينا نهب مدخرات الجزائريين التي كانت موجودة في الخزينة العمومية، وكذلك نهب أموال الجزائريين الخاصة.[4]

ولم تتأثر الإدارة الاستعمارية على تعزيز عملية العدوان بالسطو على أملاك الجزائريين خاصة بمصادرة الأراضي، وذلك عن طريق مجموعة من التشريعات، ففي سبتمبر 1830م أصدرت فرنسا قرارا لمصادرة أملاك البايلك والوقف، وتوزيعها على الوافدين الأوربيين حيث بدأ الاستيلاء عليها، والتي كانت تبلغ مساحتها 1500.000 هكتارا، وبعد ذلك بدأت هذه

[1] يهوني و حمودي ,المرجع السابق ص 10.

[2] عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1936، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص 33.

[3] ذياب، المرجع السابق ، ص 100.

[4] بوجمعة ، المرجع السابق، ص 165..

السلطات بوضع يدها على أملاك الوقف الإسلامي ، التي كانت تبلغ مساحتها 300.000 هكتارا.[1]

ولتسهيل مهمتهم عمدوا على إتلاف وثائق ملكية الأراضي وصكوك الأوقاف، وبهذا تعددت التشريعات والهدف واحد، الحصول على الأراضي لتحقيق غاية الاستعمار، ونذكر بعض التشريعات:

- قرار سبتمبر 1830، والذي ذكرناه سابقا خاص بأملاك البايلك والوقف .
- مرسوم 22 جويلية 1834م والذي أرصي قواعد التنظيم السياسي والإداري.
- مرسوم 1 أكتوبر 1844م القاضي بالاستيلاء على أراضي الأهالي الثائرين .
- مرسوم السيناتوس كونسيلت 1863م حول الملكية العقارية .
- قانون وارني 1873م للقضاء على الملكية الجماعية .
- مرسوم أفريل 1887م الذي ينص على حق الدولة لتحديد الأراضي وتقسيمها .
- مرسوم 16 فيفري 1897م ، مرسوم 21 جويلية 1846م، مرسوم 16 جوان 1851م وكلها قوانين خاصة بملكية الأراضي . وكلها تنص لفائدة المستعمرين والمستوطنين ضد الأهالي الجزائريين [2].

وبهذا فقد استولى النظام الاستعماري عنوة على معظم الأراضي الفلاحية الغنية بالقطر الجزائري التي كان يعتمد عليها في معيشتهم[3].

وبذلك كانت الزراعة أول قطاع اقتصادي تمت الهيمنة عليه ، بما أن الأراضي هي محورها الأساسي فقد كانت فلاحة الأرض تعيل نسبة 70 % من الجزائريين، أما تربية

---

[1] حياة حسني وسارة حرزي، أساليب السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر 1830_1914م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، 2016-2017، ص 30 .

[2] رتيبة لخضاري، السياسة الفرنسية الاقتصادية وأثرها في المجتمع الجزائري 1830_1914م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، جامعة المسيلة، 2013-2014، ص 31-34.

[3] يهوني و حمودي، المرجع السابق، ص 12.

المواشي فقد تعاني هي الأخرى من مشاكل عديدة ، كضيق الأراضي الرعوية التي استولى عليها المعمرون، ونقص المياه المخصصة لذلك في مواسم الجفاف، وما يترتب عنه من نزوح للفلاحين إلى المدن الكبرى وهو ما أدى إلى تراجع النشاط الرعوي بشكل كبير[1].

كما توالت العديد من الأزمات الاقتصادية على الجزائر، خلال عملية الإبادة الجماعية والجفاف وانتشار الأوبئة والأمراض والقوانين الجائرة التي سنها الاستعمار الفرنسي لخدمة مصالحه[2].

أما فيما يخص قطاع الصناعة، فقد حاولت فرنسا إقامة صناعة في الجزائر إلا أنها ضلت محدودة خفيفة لا تزيد عن المناجم والسكك الحديدية والمحاجر ولعل فرنسا بذالك هدفت فرنسا لإبقاء الجزائر متخلفة صناعيا، خوفا من فقد اليد العاملة الرخيصة ولاعتقادها أن تطوير الصناعة سيترتب عنه إخراج الأهالي من الفقر والجهل والتخلف والتبعية، وهو ما لا يتوافق مع الأهداف الاستعمارية عامة ، وأطماع المعمرين خاصة [3].

أما الصناعة الجزائرية اقتصرت على بعض معامل الزيت والصابون وصناعة السجائر والتبغ. أما في الريف فكانت الصناعات المحلية مثل: نسيج الزرابي والحياكة للاستهلاك المحلي[4].

وبالحديث عن التجارة ، فإن أغلب النشاطات كانت تتركز في المدن، حيث كانت المبادلات التجارية المحلية بين سكان المدن والأرياف، تنظم داخل الأسواق الأسبوعية وقد شهد في تلك الفترة نوعين : داخلية وخارجية، أما بالنسبة للتجارة الداخلية كان يقوم بها الأهالي في معظم الأحيان، كما كان يقوم بها اليهود تمثلت في المبادلات بين سكان الجزائر

[1] ذياب ، المرجع السابق، ص 102.

[2] بوجمعة، المرجع السابق، ص 165.

[3] ذياب، المرجع السابق ص 102.

[4] يهوني و حمودي ، المرجع السابق ص 15-16.

والدول المجاورة ، كتونس والمغرب ، ليبيا والسودان عن طريق القوافل المحملة بالسلع العابرة على المناطق الشرقية والغربية والصحراوية[1].

أما بالنسبة للتجارة الخارجية، فكان يمارسها في أغلب الأحيان الأجانب خاصة اليهود وبعض الأهالي، وقد تمثلت الصادرات في الموارد الأساسية للسكان خاصة الحبوب، أما الواردات فكانت سلع موجهة للفئات البرجوازية[2].

ب - الأوضاع الاجتماعية:

شهدت الجزائر أوضاع اجتماعية مزرية منذ أن وطأت أقدام الاحتلال الفرنسي لأراضيها سنة 1830م وقد سعت إلى تمزيق البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، وتدمير الروابط الأسرية والعلاقات العائلية وتشتيتها، ونشر العادات والتقاليد الغربية بين أفراد المجتمع الجزائري من خلال الآفات الاجتماعي من خمر وميسر والسرقة وغيرها، التي نخرت جسد المجتمع الجزائري ،كما استهدفت النمو الديموغرافي من أجل عرقلة زيادته، وهو ما ينعكس سلبا على المقاومة العسكرية [3].

وذلك بتغليب العنصر الأوربي على العنصر الأهالي والقضاء على الفئات الإثنية المكونة للمجتمع الجزائري، فالاعتقاد الذي كان سائد عندهم هو أن الشعب الجزائري مآله الانقراض خاصة في ظل الكبح الديموغرافي الذي شهده الأهالي[4].

---

[1] جهاد سعدون، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي 1830م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ معاصر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة 2013-2014 ، ص59 .

[2] سعدون، المرجع السابق ، ص59.

[3] الوناس الحواس، الأوضاع الاقتصادية للجزائر بين سنوات 1830-1930، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، المجلد 1، العدد1، جامعة البويرة 2013، ص 95.

[4] قرين ، المرجع السابق ، ص 41 .

فعند دراستنا لعدد السكان في بداية الاحتلال نجد اختلاف الروايات وتضارب في الآراء، فهناك من يقول أن مجموع سكان الجزائر لا يتجاوز المليون نسمة [1].

ويقول حمدان خوجة في كتابه المرآة بأنه كان يسكن إيالة الجزائر 10 ملايين نسمـــــة[2]، كما تشير تقديرات بعض المؤرخين من بينهم الجنرال بيجو ان العدد يتراوح ما بين 4-8 ملايين نسمة، أما المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان يقدر عدد السكان إلى ثلاثة ملايين نسمة ، إلا أن النسبة القريبة من الواقع هي ثلاثة أو ثلاثة ونصف مليون ، وذلك في سنة 1830م[3].

لقد جهدت فرنسا على تفكيك المجتمع الجزائري بداية من عام 1830م بحيث تم القضاء على الفئتين الاجتماعيتين هما الأتراك والكراغلة[4]، الذين كان لهما دور كبير في تنشيط مدينة الجزائر، فالأتراك كانوا الفئة المسيطرة على مقاليد الحكم في المدينة على غرار الكراغلة الذين تميزوا بالثراء ونظرا لذلك تخوفت فرنسا منهم وكانت حجتها في القضاء على عليهما ، هي أنهما وقفا في وجه الحملة الفرنسية ورفضوا الوجود الفرنسي على أرض الجزائر فعملت على نفيهم .[5]

وبالرجوع إلى عدد السكان فلقد تراجع خلال فترة الستينات من القرن 19م ، بسبب الحرب والمقاومات الشعبية، زيادة على انتشار الأمراض والأوبئة التي حلت بالجزائريين، من

---

[1] سعاد بشير و شريفة مقطع ،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي (1830_1870) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ،تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر ،جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي ، 2020_2021 ص44.

[2] حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ص 13.

[3] مقطع ، المرجع السابق ، ص 44.

[4] هم أبناء الأتراك من أم جزائرية.

[5] لويزة وضحة و دليلة بولقدام، التحولات الاجتماعية والثقافية في الجزائر (1830_1900م)، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجيلالي بو نعامة ،خميس مليانة ، 2016- 2017 ، ص 31 .

المجاعة والجفاف والحملات، وتضرر منها السكان وأودت بحياة 500 ألفا من الجزائريين ما بين عامي 1868- 1888[1].

كما عمل الاستعمار على تفكيك المجتمع الجزائري بالنفي والتهجير والتجهيل ، وخاصة إضرام نار الفتنة بين القبائل ، وتشجيع استهلاك الخمور ونشر الفساد وبث عقارب النزاع والفوضى، ومن أخطر مظاهر هذا الجانب تقسيم السكان إلى سكان أصليين هم البربر والغزاة ، ودخلاء بزعمهم وهم العرب، وبث التفرقة بينهم .[2]

وكانت نتيجة هذا التدهور والتغيير الناتج عن القهر الاجتماعي أن أصيب المجتمع بالركود والخمول، وتدهورت حالة السكان، وانتشرت في أوساطهم الفقر والجهل ، وأصبح مئات الآلاف من العائلات ترتزق من أراضي غير خصبة وتعيش في حالة مأساوية هذا الأمر كله جعل المجاعة تفتك بالمعوزين الغير قادرين على توفير قوتهم اليومي[3].

وقد انجر عن هذه التحولات الكبرى عدة ظواهر اجتماعية بارزة تمثلت أساسا في نزوح سكان الأرياف إلى المدن التي بدأت في النماء، وانتعاش الرأسمالية الأوربية واليهودية في الجزائر، وانتشار الهجرة الجزائرية إلى الخارج .[4]

أما الوضع الصحي، فقد تميز بالتدهور وشيوع العديد من الأمراض المستعصية ، وهذا راجع إلى نقص الرعاية الصحية والهياكل من مستشفيات ومراكز صحية وصيدليات وأطباء وممرضين، كما عمل الاستعمار على نقل أمراض إلى الجزائر مثل الزهري والسل والعديد من الإمراض المعدية والفتاكة، مما أدى إلى انتشار الوفيات خاصة عند الأطفال[5].

---

[1] يهوني و حمودي ، المرجع السابق ، ص 16.

[2] بلاح ، المرجع السابق ، ص ص 156_157.

[3] بوجمعة ، المرجع السابق ، ص 169.

[4] مقلاتي ، المرجع السابق ، ص (115_116)

[5] الوناس الحواس ، المرجع السابق ، ص 96.

وأما الحكومة الفرنسية فقد لجأت إلى إنشاء عدة مستشفيات خاصة بالجيش والمستوطنين وفيما بعد خصص بعضها للجزائريين خدمة لأهداف فرنسا، حيث بلغ عددها في مقاطعات الجزائر 21 مستشفى سنة 1896 م .[1]

وكخلاصة للوضع الاجتماعي فلقد تدهور نتيجة تدهور اقتصاد البلاد ، ونهب الأراضي فلم يبق للشعب أراضي لزراعتها ولا تجارة مربحة غير ما صارت تتاجر به فرنسا من كروم وتبغ ، ولا صناعة بعدما دخلت المنافسة الأجنبية إلى الساحة بشراسة ، كل هذا وأثر بشكل كبير على النمو الديموغرافي للسكان، فقد كان بطيئا خلال فترة الاحتلال ، وهذا راجع إلى الحروب وكثرة الوفيات وتدهور المستوى المعيشي والصحي بسبب الأوبئة والأمراض والهجرة إلى الخارج، إضافة إلى الضغوطات السياسية والحملات العسكرية المستمرة[2].

المطلب الثالث: الأوضاع الثقافية

وبصدد التحدث عن الأوضاع الجزائرية لا يمكن المرور دون التطرق للوضع الثقافي الجزائري، والذي يعد مرآة عاكسة للوضع العام في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث وضحت مدى إهمال الاستعمار الفرنسي للمؤسسات التربوية، ومحاولة إخراج مجتمع جزائري جاهل، كما خرب المستعمر المؤسسات التربوية وساهم في بناء جيل فرنسي يتمتع بالثقافة الفرنسية[3].

كما بادرت السلطات الاستعمارية إلى محاربة كل كما هو موروث ثقافي في الجزائر خاصة اللغة العربية باعتبارها وعاء الإسلام، وأداة التواصل الثقافي في المجتمع الجزائري، وفي هذا الصدد يقول بويسون "أن تعليم السكان الأهالي هو أولا تعليم لغتنا فلما يتكلم

[1] بشير و مقطع ، المرجع السابق ، ص (48_50).

[2] بشير و مقطع ،المرجع السابق ، ص 75.

[3] يهوني و حمودي ، المرجع السابق ، ص 18 .

الأهالي لغتنا يصبحون شبه فرنسيين، فالتعليم يجب أن ينتشر في أوساط السكان المسلمين باللغة الفرنسية التي تعد وسيلة للتبادل بيننا ولتوصيل الأفكار"[1].

وبالحديث عن التعليم ، فقد ترك الفرنسيون التعليم يموت دون الإعلان عن ذلك رسميا، حيث اشتغلوا بالاستيلاء على الأراضي، وتوطين أبنائهم فيها ومحاربة المقاومين، وأهملوا كل ما يتعلق بتعليم الجزائريين، وبعد حوالي عشر سنوات أخذ بعض مسئولي المكاتب العربية، وهم عسكريون يكتبون التقارير عن وضع التعليم عند المسلمين، وموقفهم من المدرسة الفرنسية عموما، منهم تقرير الجنرال بيجو وتقرير فاليري، وتقرير الجنرال دوماس وغيرهم.

ففي فترة الأربعينات من القرن الماضي نصبت لجان رسمية، زارت الجزائر مثل أليكس دي طوكفيل[2]، وخرجوا جميعا برأي عن تجربة التعليم في الجزائر، ويتلخص هذا الرأي فيما يلي:

- الاستمرار في إهمال التعليم العربي الإسلامي.
- إنشاء تعليم مزدوج خاص بالجزائريين، تدرس فيه اللغة العربية على ان تكون الفرنسية، وعلومها هي السيدة ابتداء 1850م.
- ترك التعليم في الزوايا الريفية والمعمرات على ما هو عليه على مراقبة برامجه حتى لا تكون الزوايا مراكز للمعدات الفرنسية.[3]

ويجدر بالذكر أن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني كان مسموحا به لكل الأطفال سواء في المدن أو الأرياف، وكان معظم الجزائريين يعرفون الكتابة والقراءة بشهادة الفرنسيين أنفسهم، حين صرح الجنرال فاليري سنة 1834م بقوله: " ان العرب كلهم كانوا يعرفون القراءة

---

[1] قرين، المرجع السابق، ص 55_56.

[2] (1805_1859) هوا مؤرخ ومنظر سياسي فرنسي اهتم بالسياسة في بعدها التاريخي ،عبيد بوداود ،اليكس دي طوكفيل قرائة في بعض أفكاره ومواقفه ، "مجلة القرطاس "،العدد الثاني ، جامعة معسكر، 2015، ص (188_190).

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830_1954م ، ج3 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص 21 .

والكتابة ، وفي كل قرية كانت توجد مدرستان " غير ان هذا الوضع لم يستمر طويلا بعد الاحتلال الفرنسي.[1]

وكانت معاهد التعليم في القطر الجزائري تتمثل في المساجد والزوايا، الرباطات، المدارس والكتاتيب والمعمرات[2]، ولم تستوعب المؤسسات التعليمية الفرنسية كل الجزائريين حتى في مرحلة الابتدائية، حيث خصصت 21 مدرسة ابتدائية سنة 1882 مقابل 697 مدرسة للفرنسيين[3].

أما مرحلة التعليم الثانوي والعالي فقد حرم الأهالي من التدرج فيها ، فكان اقتحامها صعبا على الجزائريين، فلم يواصل تعلمه في هذا الطور إلا عدد ضئيل [4] ، والتعليم العالي في هذه المرحلة اقتصر على جامعة واحدة هي جامعة الجزائر المؤسسة سنة 1909م بكلياتها الأربع: كلية الحقوق والطب والصيدلة والعلوم والأدب، ولم يكن التعليم بها مشجعا لتكاليفه المادية الباهظة، والتي لم تكن بمقدور كل الأهالي، فحرم بذلك أغلبية الجزائريين من تعليمهم، ولم يسعف الظروف إلا قلة ضئيلة للالتحاق بمدرجات هذه الهيئة العلمية ، في حين كان عدد الفرنسيين يتزايد بشكل تصاعدي . [5]

أما من الجانب الديني، فقد تأثر سلبا نتيجة الاحتلال ولهذا نجد منذ البداية عمدت السلطة الفرنسية على التدخل المباشر في شؤون الدين الإسلامي ، ولم تكتف بمصادرة الأوقاف والإجهاز على أي جماعة أو مؤسسة لها دور ديني أو ثقافي ، بل بسطت نفوذها على جميع الشؤون الإسلامية كتعيين القضاة والأئمة وإعلان المواسم الدينية وغيرها .[6]

---

[1] وضحة و بولقدام ، المرجع السابق ، ص 72 .

[2] سعدون، المرجع السابق ، ص 29 .

[3] ذياب، المرجع السابق ، ص 93 .

[4] ذياب، المرجع السابق، ص 94.

[5] المرجع نفسه ، ص 95.

[6] بوجمعة، المرجع السابق، ص 172.

وفي الفترة ما بين (1847_1871م) شهدت محولة تنصير جماعي وفردي للأهالي ، هذه الآلية التي عمدت إليها الرسائل التبشيرية لتهويد الأهالي بطريقة مباشرة في معتقداتهم الثقافية وكيانهم العربي الإسلامي، كما استطاع المبشرون استغلال سذاجة بعض الناس وظروفهم الاجتماعية لتنصيرهم.[1]

فقد رأى كثير من الفرنسيين في مقدمتهم رجال الدين، ومنهم مسئولون رسميون أن الإسلام جعل من الجزائر بلد لا روح له عندما تغلب على المسيحية التي كانت سائدة فيها إبان العهد البيزنطي بزعمهم، وأن المسيحية قد تشكل جسر يربط الجزائر بفرنسا ويقتل انتشار الروح الإسلامية في نفوس الجزائريين، ويقضي على اللغة العربية ويخفف من مقاومة الاحتلال[2]، وقد أحدث الاحتلال الفرنسي للجزائر تدهورا في الجانب الثقافي باعتباره مرجعية السكان للمقاومة والصمود أمام الاستعمار وسياسته[3].

[1] يهوني و حمودي ، المرجع السابق، ص 19.

[2] بلاح ، المرجع السابق، ص 153.

[3] وضحة و بولقدام ، المرجع السابق، ص 95.

المبحث الثاني: الدراسة الظاهرية للكتاب

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

المطلب الثاني: جوانب من نشاطه السياسي والثقافي

المطلب الثالث: البطاقة الفنية للكتاب والتقييم

طرح ابن حبيلس وجهة نظره في الكثير من المواضيع والقضايا التي كانت تعنيه، وتندرج ضمن اهتماماته الفكرية، وقد تطرق إليها في مؤلفاته لاسيما منها كتابه الأول " الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي " وسنحاول دراسة شخصية الشريف بن حبيلس والتطرق لبعض الجوانب من نشاطه السياسي والفكري، وكذا العديد من مواقفه مع دراسة كتابه ظاهريا في هذا المبحث .

المطلب الأول : التعريف بالمؤلف

ولد الشريف بن حبيلس[1] في 25 ديسمبر 1891 بمنطقة شبرول بضواحي قسنطينة [2] ينحدر من عائلة جزائرية كبيرة (خيمة كبيرة حسب التعبير السائد آنذاك) كان لها نصيب كبير في خدمة منظومة الحكم العثماني في الجزائر وفي خدمة الإدارة الاستعمارية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، من خلال توليها العديد من الوظائف الإدارية الثانوية ومن خلال بعض مواقفها اتجاه المقاومة الشعبية في القرن 19 م، مما جعلها تنال رتبة القيادة والباشاغاوية، وتحظى بالعديد من الامتيازات على غرار الأسر والعائلات الجزائرية الأرستقراطية، كعائلة علي باي بوعكاز وبولفراس بن قانة[3].

زاول بن حبيلس تعلمه الابتدائي والمتوسط بالمدرسة الفرنسية التي خصصت لأبناء هذه العائلات وزاول تعليمه الثانوي بالمدرسة الفرنسية الإسلامية بقسنطينة ، حظه كبير في تعلم اللغة الفرنسية علا يد مدرسين بالدرجة الأولى، مدرسين غرسوا فيه حب فرنسا والتأثر بها،

---

[1] انظر الملحق رقم 1 ، ص51.

[2] البشير منصور، النخبة الجزائرية الفرانكفونية، الشريف بن حبيلس أنموذجا 1891_1959م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2017-2018، ص 30.

[3] محمد السعيد قاصري ، النخبة الجزائرية الفرانكفونية بين التطرف والاعتدال ، شريف حبيلس نموذجا، 1891-1959، "مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية"، العدد 13، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017، ص 290.

من خلال الدروس التي كانت تقدم له، مما ساهم في صقل شخصيته بطابع أوربي فرنسي خاص، فتكونت لديه ثقافة فرنسية عربية.[1]

أما دراسته الجامعية فقد أتمها في الجامعة الجزائرية واختار تخصص الحقوق ، وبعد إنهاء مساره الجامعي عين بسلك القضاء ، ومارس مهنته منتقلا بين عدة مدن كسطيف وغيرها، واعتبر أحد أنشط القضاة الجزائريين تكوينا وممارسة [2].

تولى مهمة القضاء بالبابور، وكان يعيش على الطريقة الفرنسية لاسيما في لباسه، وهو في ذلك لا يختلف عن بني جيله، وتمكن من تأسيس وترأس " ودادية القضاة المسلمين الجزائريين ، Amicale du personnel des mahakmas de l'Algérie" التي أنشأت سنة 1920، ثم تولى منصب الأمين العام لفيدرالية النواب المسلمين بمقاطعة قسنطينة، وحصل على وسام الشرف Chevalier de la légion d'honneur سنة 1927م وقد نوهت به مجلة " صوت المستضعفين " بهذه المناسبة [3].

نشأ بن حبيلس إذا في وسط اجتماعي معتبر، وسط عايش من خلاله المعمرين الأوربيين والفرنسيين، بمختلف شرائحهم وجنسياتهم عكس الكثير من أقرانه الذين عاشوا الفقر والحرمان وكانوا بعيدين عن هذا الوسط الأوربي الذي لا تربطهم به إلا المدرسة الفرنسية فقط .

وعليه فهذا الوسط كان له دور كبير في توجيه فكر ابن حبيلس نحو التعايش والتآلف مع هذا الوسط والاندماج فيه، بلغة ليست لغته وبأفكار وعادات وتقاليد ليست من عاداته، ولذلك لا نستغرب من موقف بن حبيلس الممجد للاستعمار الفرنسي في الجزائر عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى[4].

---

[1] سليمة موادنة، بوثينة رقام، الاتجاه الإدماجي في الحركة الوطنية الجزائرية وانعكاساتها في القضية الوطنية ، 1900-1939، مذكرة لنيل شهادة الماستر، التاريخ الحديث والعاصر ، جامعة 8ماي 1945، قالمة، 2019-2020، ص 72.

[2] موادنة و رقام، المرجع السابق، ص 72.

[3] نفيسة دويدة، المسالة الثقافية في الجزائر من منظور التيار الليبرالي للحركة الوطنية (1927-1945) ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، في التاريخ المعاصر، ببوزريعة، 2009-2010، ص 162.

[4] قاصري ، المرجع السابق، ص 90.

لم يختلف بن حبيلس عن بني جيله من المثقفين بثقافة فرنسية عصرية، فقد كان يعيش على الطريقة الأوربية لاسيما في لباسه، وكان من الذين لطالما انتبهوا لضرورة محاكاة الأوربيين في نمط حياتهم وطريقة تعاطيهم مع المناسبات الاجتماعية والثقافية المختلفة، ورغم ذلك لم نعرف تفاصيل كثيرة على الحياة الخاصة لابن حبيلس كزوجته وأبنائه، وعلاقاته مع المحيطين به مقارنة بشخصيات أخرى مماثلة ، كمحمد الصالح بن جلول (1893 – 1985) أو فرحات عباس (1899 – 1985) مثلا[1].

ومن الوظائف التي شغلها :

لم يتوان بن حبيلس منذ تخرجه في الالتحاق بالتوظيف لدى الفرنسيين، ومن بين المناصب والمهام التي شغلها في مسار حياته:

- القضاء
- موثق بمنطقة ذراع الميزان بتيزي وزو
- رئيس ودادية القضاة
- عضو الحبوس والبقاع المقدسة
- عضو مجلس إدارة النادي فرانكو– إسلامي بالجزائر
- عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي في الفترة 1958– 1951
- تولي مسؤوليات في المجالس البلدية والعمالية [2].

وفاته :

لم نظفر بما فيه الكفاية على معطيات تاريخية كافية حول النهاية المأساوية لشريف بن حبيلس.

[1] نفيسة دويدة ، الشريف بن حبيلس أرائه و اهتماماته الفكرية ، "إنسانيات" ، عدد مزدوج 72_73 ، 2016 ، ص 69_70 .

[2] مودانة و بوثنية رقام ، المرجع السابق، ص 75.

حيث راح ضحية لعملية اغتيال مدبرة في أوت 1959[1] عملية تباينت الروايات التاريخية حولها، فهناك من يرى أن بن حبيلس اغتيل من طرف جبهة التحرير بسبب تأييده فكرة القوة الثالثة التي طرحها الجنرال ديغول ، بينما يرى البعض الآخر أن الفرنسيين هم من قاموا باغتياله بسبب الاتصالات التي كانت يجريها مع فرحات عباس .

بعد التحاقه بالثورة، حيث بات يشكل خطرا على الفرنسيين وعلى الجزائريين المنتخبين، وعلى رأس هؤلاء بن حبيلس الذي كان عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي ومن بين هذه الروايات:[2]

- رواية محمد حربي:

يقول محمد حربي بهذا الشأن ما يلي : " وشجع سريا –أي فرحات عباس– مع أحمد فرنسيس وبدون علم الحكومة المؤقتة ودون حساب الأخطار ، السيناتور الشريف بن حبيلس على قيادتها ولما علمت بالاتصالات بين هؤلاء الرجال الثلاث، أمرت هيئة الحكم الثلاثية فدرالية فرنسا باغتيال ابن حبيلس في أوت 1959م بمدينة فيشي Vichy "[3].

- رواية أحمد مربوش :

يرى أن شريف بن حبيلس أغتيل في مدينة فيشي الفرنسية في نهاية الخمسينات من طرف رجال جبهة التحرير الوطني، ولقد استمد هذه الرواية من نارون في مؤلفه باللغة الفرنسية الموسوم بـ Histoire parallèle la France en Algérie 1830 – 1962 .[4]

- رواية رابح بلعيد :

يروي رابح بلعيد أن الشريف بن حبيلس كان علم تام بسياسة الجنرال ديغول المتمثلة في البحث عن القوة الثالثة للقضاء على الثورة ، ويذكر أن إصدار الأمر لفدرالية جبهة التحرير

[1] مودانة ورقام ، المرجع السابق، ص 76.

[2] قاصري ، المرجع السابق، ص 304.

[3] منصور، المرجع السابق، ص 53.

[4] مودانة و رقام ، المرجع السابق، ص 77.

بفرنسا بمهمة التصفية لابن حبيلس، كان من طرف الثلاثي الحاكم(عبد الحفيظ بوصوف بن طوبال و كريم بلقاسم)، وليس من طرف محمد حربي كما جاء في روايته[1].

مؤلفاته :

له مؤلفات مطبوعة مثل الكتاب الذي بين أيدينا، وكتاب " فرنسا في الجزائر إلى أين Ou va la France en Algérie? " المطبوع بمناسبة المئوية الفرنسية بالجزائر 1930، وكذا كتاب "أين نحن؟ Ou en sommes nous " وهو عبارة عن نشرية صدرت سنة 1931م عن الوادادية التي يترأسها ، بالإضافة إلى الكتب مؤلفات أخرى هي:

- la protection des mineurs indigènes en Algérie 1924.
- la suppression des pouvoirs juridictionnels des cadis 1924.
- Bilan cent ans en France 1940.
- Interventions-débats parlementaires 1954 [2].

المطلب الثاني: جوانب من نشاطه السياسي والثقافي

ساهم في عدة نشاطات سياسية وثقافية انطلاقا من موقفه وتكوينه الفرنسي، نشاطات يمكن حصرها فيما يلي:

1- تأسيس حركة الشبان الجزائريين:

يعد من بين المؤسسين الناشطين فيها، والتي كانت تتكون من حاملي الشهادات الذين لم يبلغ عددهم سنة 1912 سوى 25 شخصا، من بينهم الشريف بن حبيلس[3] ، وشارك في كتابة بيان حركة الشبان الجزائريين 1912 م ، ويؤكد بوعلام بن حمودة حول نشاط بن حبيلس أن هذا الأخير أسس حركة الشبان تحت رئاسته تشبه تلك التي رفعها الأمير خالد[4].

[1] منصور، المرجع السابق، ص 53.

[2] Jean Déjeux, Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française, KARTHALA Editions, Paris 1984, pp. 60- 61.

[3] قاصري، المرجع السابق، ص 298.

[4] منصور، المرجع السابق، ص 35.

2- تأسيس لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين :

تأسست في سنة 1908 بالجزائر لعاصمة، وكان من أبرز عناصرها رائد النخبة اللائكية الشريف بن حبيلس وعمر بوضربة ابن التهامي[1] ، لجنة جاءت توحد هؤلاء المثقفين وتوضع آلية للعمل السياسي انطلاقا من العاصمة الفرنسية نفسها، لتمثيل الجزائريين وتقديم مطالبهم وإسماع صوتهم بطريقة مباشرة إلى السلطة الفرنسية[2].

3- تأسيس نادي صالح باي :

يعد من بين أعضائه البارزين فيه، ويذكر بن حبيلس أن النادي كان ينظم دروس في التعليم العام والمهني، وعقد محاضرات علمية وأدبية وخلق جمعيات خيرية ونشر التعليم ، ومحاولة التوفيق بين المجموعة الفرنسية والجزائرية [3] ، ومما يذكره أبو القاسم سعد الله بتشجيع الفرنسيين لمثل هذه الجمعيات والنوادي : " السلطات الفرنسية وافقت على تأسيس الجمعيات التعليمية والاجتماعية، الجمعية الراشدية، التوفيقية، ولقد رأسها في الظاهر بعض الجزائريين المتجنسين بالجنسية الفرنسية والمتخرجين من المدارس الفرنسية، أمثال د. بلقاسم بن التهامي، محمد صوالح، الدكتور الطيب مرسلي، ومختار الحاج سعيد، والشريف بن حبيلس، فظهور الجمعيات إذ كان في أوساط المثقفين بالفرنسية المعروفين بالاندماجيين"[4].

---

[1] ولد بن احمد التهامي بمعسكر 1788، كان احد أعضاء القيادة بجيش الأمير عبد القادر، كان رئيسا لكتابة الديوان الأميري كما عين خليفة على مقاطعة معسكر ، للمزيد انظر: إبراهيم لونيسي، مصطفى بن التهامي ،(1788-1866) ، "عصور" عدد 3، جامعة الجيلالي لياس، سيدي بلعباس ، 2003، ص95.

[2] قاصري ، المرجع السابق، ص 298.

[3] المنصور ، المرجع السابق، ص 35.

[4] قاصري ، المرجع السابق، ص 299.

4- تأسيس رابطة فرنسا في الجزائر :

قام الشريف بن حبيلس مع الشيخ بن قانة، والباش أغا السماتي بتأسيس رابطة أحباب فرنسا بالجزائر، أو بما يسمى بجمعية أحباب فرنسا خلال شهر ديسمبر 1937 [1] ، وعلى الرغم من النشاطات التي قام بها ابن حبيلس لصالح الدفاع عن المسلمين الجزائريين أو الأهالي كما يحلو له تسميتهم ، وعلى الرغم من التراجع الذي سجله موقف فرحات عباس[2] من الأفكار المتطرفة التي كان يدعو إليها، وعلى الرغم من انتماء بن حبيلس لجماعة عباس فإننا وقفنا لابن حبيلس على نشاط بات يكون متناقضا تماما لما كان يقوم به، ويكمن هذا النشاط في تأسيس هذه الرابطة أو ما يسمى بجمعية أحباب فرنسا خلال شهر ديسمبر 1937. [3]

5- تأسيس فدرالية منتخبي عمالة قسنطينة:

تأسست بقسنطينة في عشرينات القرن الماضي، وعرفت بكنية اتحاديات المنتخبين المسلمين بقسنطينة[4]، علا يد مجموعة من الشخصيات وعلى رأسها محمد الشريف سيسبان[5]، وقدمت مجموعة من المطالب لفرنسا أهمها تمثيل النخب في البرلمان والمساواة في مدة الخدمة العسكرية [6].

---

[1] مودانة و رقام ، المرجع السابق، ص 74.

[2] ولد فرحات عباس بقسنطينة تشبع بالثقافة الفرنسية ، وكان من الذين آمنوا بصدق ان فرنسا الوطن الأم وكانت تختلف عن فرنسا الاستعمارية الجشعة ، ويعد من ابرز الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر، فقد أسس الفكر السياسي الجزائري وجسد تيار عم اثر في تاريخ الجزائر / للمزيد انظر: سلامي هجيرة ، مذكرات الراحل فرحات عباس ودورها في كتابة تاريخ الجزائر، "مجلة تاريخ العلوم"، العدد 3 ، مجلة 5، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، 2020، ص ص 72-74.

[3] قاصري ،المرجع السابق، ص 300.

[4] منصور ، المرجع السابق ، ص 36.

[5] قاصري ، لمرجع السابق، ص 300

[6] منصور ، المرجع السابق ،ص 36.

موقفه من الثورة التحريرية (1954 – 1959) :

من غير المستبعد أن يكون موقف فرحات عباس من الثورة الجزائرية التي وصف انطلاقتها بأنها فوضى قد أثر في ابن حبيلس الذي لم يكن له موقف آخر سوى مجاراة موقف عباس[1]، انطلاقا من الموقع السياسي الذي بات يشغله في مجلس الشيوخ الفرنسي، لكن مع مرور الوقت قد تكون تغيرت نظرة بن حبيلس من الثورة لالتحاق فرحات عباس بها، ويكون قد تعزز موقفه أيضا في مجلس الشيوخ بعد انتخاب فرحات عباس رئيس للحكومة المؤقتة الجزائرية[2].

المطلب الثالث: البطاقة الفنية للكتاب وتقييمه

- **التعريف بالكتاب:** عنوانه الكامل هو:

l'Algérie française vue par un indigène 1914, édition Fontana, Alger 1914.

"الجزائر الفرنسية من منظور أحد الأهالي" وهو خلاصة لتفكير نخبة جزائرية حول مشاكل كان مطروحة في العشرينيات ، مثل التعليم والتجنيس وسنتطرق إليها في المبحث الثالث.

ويعد شهادة اعتراف وملاحظة جزائري من الأهالي ، عاش وسطهم وفكر في نشر شهادة وإبداء رأيه حول ما أنجزته الإدارة الفرنسية في الجزائر وما تحملته لتعليم الجزائريين حسب قوله ،كما يعد شهادة لجزائري تربي وكبر فوق مقاعد المدرسة الفرنسية ، أحب فرنسا وأحب الاسم الذي ينادونه به " فرنسي " ببساطة يريد الكاتب من خلال هذا الكتاب توضيح عرفانه لفرنسا والمساهمة في وضع حجر في النصب الضخم الذي أنجزته الجمهورية الثالثة فوق أرض الجزائر حسب رأيه.

كتب تقديمه صديق المؤلف جورج مارسيGeorges Marcais مدير مدرسة تلمسان، وعرج في هذا التقديم على مسائل هامة تخص موضوعات الكاتب ، كما أشاد بصديقه

[1] مودانة و رقام، المرجع السابق، ص 75.

[2] قاصري ، المرجع السابق، ص 302–303.

وبأفكاره ، وحسب ما يبدو فإن الطبعة الأولى والوحيدة للكتاب هي تلك الصادرة عن المطبعة الشرقية للإخوة فونتانا بالجزائر العاصمة سنة 1914، والتي جاءت في شكل مجلد متوسط الحجم من 195 صفحة .

- **مؤلف الكتاب:** الشريف بن حبيلس
- **ترجمة:** عبد الله حمادي وآخرون
- **التعريف بالكتاب** (النسخة الأصلية):

يأتي بحجم صغير 195 صفحة ، والكتاب هو مجموعة من المقالات والكتابات التي كتبها ثم جمعها في هذا الكتاب وهو مترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان " الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي " من طرف مجموعة من الباحثين .

- واجهة الكتاب بيضاء في وسطها اسم الكتاب[1] " **L'Algérie française vue par un indigène**" بالخط الغليظ وفي الأعلى اسم المؤلف " **Cherif ben habiles** "
- أما دار النشر : "imprimerie orientale Fontana frères Alger"
- **سنة الطبع** : 1914
- التعريف بالكتاب من الشكل (النسخة المتوفرة لدينا):

يأتي بحجم صغير 155 صفحة، وقد قام المترجم بتهميش عدة صفحات شرح فيها عدة مفاهيم .

- **الطبعة** : الأولى
- **سنة الطبع:** 2009
- **دار النشر:** دار بهاء الدين للنشر والتوزيع
- مكان النشر: الجزائر
- حجم الكتاب : من صغير إلى متوسط الحجم (24*16)

[1] انظر الملحق 2 ، ص 52.

- عدد الصفحات : 155 صفحة

- الواجهة الأمامية للكتاب[1] : في أعلى الكتاب نجد اسم مؤلف الكتاب " الشريف بن حبيلس " وأسفله نجد الترجمة ودار النشر ثم يتوسطه عنوان الكتاب بخط غليظ .

- محتوى الكتاب : ضم قسمين : الأول تضمن مقدمة لجورج مارسي شكر الشريف بن حبيلس من خلالها على حكمه العادل والمنصف في نظره على الاستعمار الفرنسي ، ثم تناول فيه مواضيع مختلفة متعلقة بالأمن ، الاحتلال ،البلديات المختلطة ،والنخبة الجزائرية وغيرها وهي سبعة فصول و خاتمة .

والقسم الثاني: فيشمل أربع فصول و يتضمن محاضرات وخطب ألقاها في مناسبات عديدة باللغة العربية بنادي صالح باي أستاذ الدراسات الإسلامية بالمدرسة الإسلامية، ومفتي المالكية بقسنطينة الشيخ المولود بن موهوب ، وتمثل هدفه من عرض الجزء الثاني في إعطاء نموذج للنشاط التنويري الذي حمله لواء حركة الشبان .

تقييم الكتاب:

إن الدارس للكتاب والمتمعن في بعض عباراته ذات المدلول البعيد سيقف عند حقيقة هامة هي ان هذه الشهادة جاءت من نخبة جزائرية تشبعت بالثقافة الفرنسية ،منبهرة بحضارتها ومقتنعة بضرورة الذوبان وسط هذه الحضارة ،فلم يكتفي الكاتب انه انتقد وضع مجتمعه دون يحمل فرنسا مسؤولية ذالك بل يذهب لربطه بالنظام الذي كان سائدا قبل الاحتلال، ويحمل فشل فرنسا في مشاريعها للأهالي الرافضين للتطور والجاهلين لأمور حسب قوله.

كما يثني الكاتب على الفئة التي ينتمي إليها تلك النخبة التي تصطدم كل مرة بالتحجر والتعصب الديني للأهالي، ويذكرنا في كل مرة بنشأته في الأكواخ الجزائرية وبتربيته فوق مقاعد المدرسة الفرنسية وهذا يكفيه فخرا.

[1] انظر الملحق 3 ، ص 53.

لم تأخذ بعض الكلمات في الكتاب معناها الحقيقي بل استصغرها الكاتب إذ يسمي الاحتلال بالتدخل وتجنب ذكر عبارة "الجزائر" بل فضل استعمال "شمال إفريقيا" وشبه الاحتلال بالفتح الكريم .

يقول الكاتب إن كتابه موجه للجزائريين لماذا ؟ هل يطلب منهم مراجعة موقفهم من الاحتلال أم هي محاولة لتضليل الحقيقة ؟ أم وجد نفسه مضطرا لذلك بحكم هويته الجديدة فهو فرنسي متجنس ومثقف بالثقافة الفرنسية .

وفي وصفه للنخبة التي ينتمي إليها يقول أنها النخبة الوحيدة التي تحصلت علا تكوين صحيح وهي متفوقة لكي تلعب دورا فعالا في المجتمع الجزائري ، وهي النخبة الوحيدة التي تجرأت وقدمت لائحة مطالب لفرنسا ...؟

إن القارئ للكتاب سيكتشف من الوهلة الأولي أسلوب التغليط والتمويه فيه وحتى التهجم فيه على الأهالي وتحميلهم مسؤولية ما لحق بهم فهل كان لهم الاختيار؟

لا ينكر أحد أن الإدارة الفرنسية وضعت برنامجا تعليميا للجزائريين، لكنه ليس بالبرنامج الذي يطلبه الجزائريون فلم يكن مستجيبا لا من بعيد ولا من قريب لمطالب الجزائريين، بل كان هدفه إذابة ومسخ وطمس المجتمع الجزائري وتجريده من هويته فلو قدر له النجاح لكانت الجزائر اليوم ولاية فرنسية، الواضح أن الكاتب والنخبة التي ينتمي إليها لم تفوت الفرصة في تمجيد عظمة فرنسا وكأنه مطلوب منها التملق حتى تتموقع وسط هذا المجتمع الفرنسي .

المبحث الثالث :

أفكار ابن حبيلس من خلال كتابه

المطلب الأول: القضايا السياسية والعسكرية

المطلب الثاني: القضايا الاقتصادية والاجتماعية

المطلب الثالث: القضايا الثقافية

لقد تعددت وتباينت مواقف الشريف بن حبيلس من مختلف القضايا التي شهدتها الساحة الجزائرية ، مواقف جمعت بين التطرف والاعتدال والتناقض في بعض الأحيان، فهو مدافع شرس على المصالح الفرنسية وتمجيد الاستعمار الفرنسي، في حين نجده مرات أخرى عضوا نشطا وفعالا لتأسيس النوادي والجمعيات الثقافية التي رآها وسيلة للنهوض بالمجتمع الجزائري ، وسنتطرق إلى مواقف الشريف ابن حبيلس من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: القضايا السياسية والعسكرية

أ – الأمـــــن :

من خلال قراءتنا للفصل الأول الذي عنونه الشريف بن حبيلس " الأمن " بدا لنا مدى تذمره من فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي حيث يقول " منذ أجيال كثيرة والجزائر عش حقيقي للأشرار وقطاع الطرق والقراصنة ، ولم تعرف استتباب الأمن إلا منذ أن صارت أرضا فرنسية "[1] ، ويظهر لنا مدى إشادته الواضحة بالوجود الفرنسي بالجزائر ، وكذا سخطه اتجاه النظام القديم " تحت مبرر انعدام الأمن قديما كان سطو والعدوان والمعارك الزاد اليومي لكل القبائل والمقاطعات (...) الفوضى، الغموض، الاضطراب: تلك هي حال المسلمين الفعلية في شمال إفريقيا ، وذلك وضعهم الاجتماعي في ظل وصاية الحكومة التركية المجرمة "[2].

وقد أعطى أمثلة عن انعدام الأمن، حيث قال بهذا الصدد: " فلماذا يزرع الفلاح أرضه إذا كان مصير الغلة السرقة والنهب ؟ ولماذا نتاجر إذا كانت الأموال المحصلة تؤول عاجلا أو آجلا إلى خزائن الحكم كما استشهد بشخصية يقول إنها مارست القتل في حق الرعايا مثل بوعكاز بن عاشور حاكم فرجيوة" واصل حتى يوم تهجيره ومارس حق القتل على رعاياه ،

[1] الشريف بن حبيلس ، الجزائر فرنسية كما يراها أحد الاهالي ، ط1، تر: عبد الله حمادي ، فيصل الاحمر، وسيلة بوسيس دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة، الجزائر، ، ص 19.

[2] المصدر نفسه.

فكان يحدث أن يرمي بمعينيه في واد بوصلاح لمجرد غيابهم عن الاجتماع مثلا [1] ، ليس ذلك فقط بل قام بنقد الناس الذين دافعوا عن العثمانيين " وحتى هؤلاء الذين سيقولون دفاعا عن إخوتهم في الدين إن المقارنة بين وضعنا قبل 1830 وبعدها تجعلنا نستنتج تفوق الدولة القديمة، هؤلاء ليسوا سوى مزيفين للحقائق ، وكذا لا يمكن تصديق آرائهم " [2] .

كما أثنى على فرنسا بقوله " لذلك نقول أن استتباب الأمن يظل إحدى أهم الانجازات الفرنسيـة على هذه الأرض وعليـــه فالجزائريـون يجب عليهم حب فرنســا والذوبـان في مجتمعها"[3] .

ويتضح أن موقف بن حبيلس فيه الكثير من المغالطات والاختزال والتشويه للحقائق التاريخية ، فهل كانت قبل الاستعمار الفرنسي محطة لقطاع الطرق ومنطلقا لهم ؟ أم هل في حقيقة الأمر دفاعا وتحد للتحرشات الأوربية، ثم إلى مدى انتشر الأمن في ربوع الجزائر المستعمرة من طرف فرنسا؟ أم هو أمن مرهون بالمعمرين وأتباعهم دون الأهالي الجزائريين ؟ ثم لو سلمنا بأن الأمن قد حقق كما زعمت فرنسا بما تعلل تلك الترسانة من القوانين والإجراءات المطبقة بالجزائر انطلاقا من سياسة الأرض المحروقة [4] والإبادة الجماعية مرورا بالسياسات الجائرة للجمهورية الثالثة [5] ، فهل نسمي أن فرض الأمن المزعوم تم في إطار سياسة التهدئة التي طبقها الجنرال بيجو ألم يذكر لنا المؤرخ أبو القاسم سعد الله الوضع قبل

[1] ابن حبيلس ، المصدر السابق، ص 19_20.

[2] المصدر السابق ، ص21.

[3] نفسه ، ص 22.

[4] هي سياسة مارستها فرنسا عل الجزائريين للقضاء على مصادر التموين وتمويل المقاومات الشعبية ، باعتبارها تشكل خطرا كثير على المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر، عبد القادر سلاماني، سياسة الأرض المحروقة وأثرها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر ، 1830– 1847، مجلة دراسات ، العدد 3 ، المجلد 7، جامعة طهار علي محمد ، بشار ، الجزائر، ص 121.

[5] منصور، المرجع السابق ، ص 41.

الحرب العالمية الأولى في قوله: " هذا زمن الصمت فإن تكلمت الباطل فستعيش، ولكنك إذا تكلمت الحق فستموت "[1].

ب/ التجنيس:

يدعو الشريف بن حبيلس الفئة المثقفة إلى أخد الجنسية الفرنسية بقوله " هذه البرجوازية المحافظة المتجمدة البالية طبقة العمائم القديمة " كما نسميها النخبة والتي تشكل تناقضا حيالها، على كل حال ماذا ننتظر من كلمة " النخبة " إنها زبدة من الشباب المتكون في الجامعات الفرنسية وهم فوق العامة ومكانهم بين المتحضرين أي بين الفرنسيين وليس بين إفراد أمتهم .[2]

كما حول المؤلف أن يعطي مفهوم التجنس مكانا مقنعا في قاموس الأهالي، فخاطبهم قائلا: " إن التجنس فعل يقبله مبدئيا كل أفراد النخبة ممن يعتقد أن الإحساس بالواجب الديني مجرد قناعة شخصية " لأنه أراد أن يثبت فعليا أن التجنس أي التخلي عن الأحوال الشخصية لا يتناقض مع الغاية السامية للدين وربما هو يقصد الإيمان والاستقرار الروحي الباطني[3]، بالإضافة إلى ذلك ، قام بمدح النخبة التي أقدمت على التجنيس " إن التجنيس الذي أقدمت عليه هذه النخبة عمل شجاع لأنه يواجه إشكالية دينية هؤلاء يجعل الشأن الديني مسألة فردية وما يوجهونه مما نحن بصدده يثبط المتجنسين كثيرا بعد أن تثبطهم صنوف من العوائق على رأسها عائلاتهم التي تركتهم[4].

نظر لهذا الطرح الذي يتسم بالتكبر والاستعلاء عن بنى جنسه تلقى بن حبيلس ردود فعل قوية وعنيفة ومن بين ما وقفنا عليه على سبيل المثال لا الحصر، موقف محمد شريف

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2، 1900_1930 ، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص (204_205).

[2] عز الدين معزة ، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية، مرحلة الاستقلال 1899–1985، أطروحة ماجستير قسم التاريخ الإخوة منتوري، قسنطينة 2004–2005، ص 78.

[3] دويدة ، المرجع السابق، ص 174–175.

[4] ابن حبيلس ، المصدر السابق، ص 97.

ساحلي الذي قال عن ابن حبيلس وغيره من المتجنسين: " رجالا بدون إيمان قدموا خدمتهم إلى المحتل، عملاء مأمورون متاجرون يهدفون من وراء خدمة مصالحهم الطبقية، هذه الطبقة البورجوازية الجديدة تطالب بالمساواة في الحقوق والإدماج يريدون أن يكونوا فرنسيين للوصول إلى مكانا بجانب معلميهم".[1]

أما موقف الجزائريين من سياسة التجنيس [2] فقد تباينت الواقف والآراء بين الرفض والتأييد ، فهناك أقلية طلبوا الجنسية الفرنسية وأصبحوا مواطنين فرنسيين لهم نفس الحقوق السياسية والمدنية، التي يتمتع بها الفرنسيون، أما الرافضون لهذا القانون فهم الأغلبية الساحقة من الجزائريين الذين اعتبروا تخليهم عن الدين الإسلامي اعتداء على مقومات الشخصية الجزائرية، كما كتب الرافضون لهذا القانون عريضة سنة 1871 والتي كانت تعبر عن رفض محاولات الاستعمار الإدماجية، التي حاولت بها فرنسا سلخ المجتمع الجزائري عن كيانه الإسلامي .[3]

ولعل من انعكاسات هذه الرؤية نحو تجنس الجزائريين ما أورده بن حبيلس نفسه حول معاناة أحد المدرسين من منطقة القبائل الكبرى تجنس بالجنسية الفرنسية وتزوج بفرسية ، فيقول له هذا المدرس: " لم أزر أبدا قريتي منذ تجنست ، إنها وضعتني في الجهة السيئة والدي توفي ولم أستطع رؤيته " المجتمع القبائلي رفض المتجنسين واعتبرهم خونة، لذلك لم يستطع هذا المدرس الحضور في تشييع جنازة والده، ويعد ذلك بالنسبة إلى المجتمع

[1] قاصري ، المرجع السابق، ص 298.

[2] قانون أصدره نابليون الثالث في 14-7-1865، والذي بعتبر من أول النصوص القانونية التي فتحت الباب أمام منح الجنسية الفرنسية للجزائريين مقابل التخلي عن أحوالهم الشخصية ، منى بن التومي، قوانين ومشاريع التجنيس الفرنسية ومواقف الجزائرية منها (1865-1936) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، نخصص تاريخ الجزائر المعاصر والحديث ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2015-2016، ص 5.

[3] نفس المرجع، ص ص 7-8.

الجزائري المسلم أكبر إهانة للفرد ويصبح عارا عليه يلاحقه مدى حياته، حيث يصنف من المغضوب عليه في مجتمعه.[1]

ج – التجنيد الإجباري:

النخبة المفرنسة ذات الثقافة الفرنسية كانوا في أغلبهم مع قبول التجنيد، إذ كان سيؤدي إلى الحصول على المساواة السياسية، وبذلك نادي أبناء بوضربة وبن حبيلس وبن التهامي.

ومما يذكره أبو القاسم سعد الله بشان موقف بن حبيلس وجماعته من التجنيد الإجباري[2]" ابن حبيلس هو الذي كتب سنة 1914 كتابا عن تيارات التغيير والإصلاح، وجعل عنوانه الجزائر كما يراها أحد الأهالي ، وهو مجموعة آراء وملاحظات جمعها ونشرها، وقد جاء الكتاب على لسان الاندماجيين الذين منهم ابن التهامي وبوضربة ومرسلي ، وفي الكتاب أصداء هذه الفئة التي تبنت التجنيد الإجباري إذ كان يحقق المطالب السياسية والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين، والمؤلف –يعني بن حبيلس– واحد منهم "[3].

أما موقف الجزائريين من التجنيد الإجباري فاتسم بالرفض، وإذا قمنا باستعراض موقف كتلة المحافظين، يتبين لنا من الوهلة الأولى أن هذه الشخصيات الجزائرية المتشبعة بالثقافة العربية الإسلامية والمتأثرة بأفكار الجامعة الإسلامية، قد عارضت بشدة التجنيد الإجباري

[1] منصور، المرجع السابق، ص ص 42–43.

[2] هو قانون سياسي ينص على تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي، صدر في 3–2–1912، من قبل البرلمان الفرنسي الذي اتخذ قرارا بإجبار الجزائريين على الخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسيين ،جاء هذا القانون بعد فترة تضاربت فيها مختلف الآراء السياسية والعسكرية من خلال المشاريع الأولى التي تهدف إلى تجنيد الجزائريين ، حميد آيت حبوش ، قانون التجنيد الإجباري 1912، دراسة في ظروف صدوره ومواقف الجزائريين منه، "الحوار المتوسطي" ، المجلد 9، العدد 2، جامعة وهران ، 2018، ص 279 .

[3] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998 ص209.

وعلى رأسهم الأستاذ عمر راسم [1] الذي كان يكتب المناشير بخط يده وبعلقها على الحائط في الأماكن الاستراتيجية ضد قانون التجنيد ، ثم الشيخ عبد الحليم بن سماية.[2]

أما الموقف السياسي فتمثل في المظاهرات وتشكيل الوفود وتقديم العرائض، الاحتجاجات، الاختفاء والهجرة، بالإضافة إلى الموقف العسكري والذي تمثل في المقاومات الشعبية ، مثل ثورة بني شقران بمعسكر سنة 1914 وثورة الأوراس 1916م.[3]

المطلب الثاني: القضايا الاقتصادية والاجتماعية

ومن أبرز المواضيع الاقتصادية التي تناولها:

أ – التعمير :

يقول بن حبيلس في هذا الصدد : " إنجاز آخر من إنجازات المصالحة التي نحن بصددها، والتي لا يستهان بها هو التعمير، ففي الحقول تحت أمطار الشتاء وبرده القارص، أو تحت سياط الحر الصيفي، يتم عموما الاحتكاك بين المعمرين والأهالي ويتم التعايش السلمي، ولا يوجد مكان آخر يتم التعايش فيه بمثل هذا الشكل ولا يمثل هذه الخصوبة " .[4]

وهنا تكلم عن العلاقة بين الأهالي والمعمرين، ويصفها بالتعايش السلمي، وكذلك يرى أنه: " في هذا الأمر لا توجد نقاشات متشعبة طوال النهار تتضافر كل الجهود بكل أخوة من أجل تقليب وجه الأرض[...] فالمصلحة المشتركة والمصير المتقاسم يجعلان تقاليد العمل وسيرته أهم من اعتبارات أخرى " فهل كانت العلاقة بين المعمر والأهالي بالطريقة التي صورها لنا

---

[1] من مواليد العاصمة سنة 1833، ألقى دروسا بالمدرسة الثعالبية ولج عالم الصحافة وكتب في الصحف التونسية ، فيها السياسة الاستعمارية انشأ صحيفة ذو العقار سنة 1914، كتب العديد من المقلات في صحيفة الفاروق وتوفي سنة 1959، انظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1998، ص 282.

[2] تمار وردة ، قانون التجنيد الإجباري 1912/2/3و أثره على القضية الجزائرية ، مذكرة مكتبة لنيل شهادة الماستر ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2015–2016، ص 23.

[3] آيت حبوش، ، المرجع السابق، ص 281–284.

[4] ابن حبيلس ، المصدر السابق، ص 25 .

بن حبيلس؟ كما تطرق إلى أهمية الأهالي لدى المستعمر "إلا من سيؤول المعمر دون الأهالي ، كيف يمكن أن يفعل .وماذا يمكنه أن يفعل دون هذا الخزان الهائل من اليد العاملة" ؟ [1]

ب – العامل الجزائري والمعمر الفرنسي:

وهنا يتكلم بن حبيلس عن فضل المستعمر: " من دفع هؤلاء إلى العمل وغير ذهنيتهم في العمل إنه هذا المعمر الآتي من وراء البحار لا يحمل معه إلا بنيته القوية في أغلب الأحيان، هذا المغامر الذي جاء وتمركز وسط أناس لا يعرف لغتهم ولا ذهنيتهم و لا عاداتهم ، والذي واجه ألف عسر وعسر ، وحرم نفسه من كثير من الأشياء كي يشكل خلية حيوية ، وبيتا على هذه الأرض التي انتهى به الأمر إلى احتضانا كأنها وطن "ثان"؟، من الذي علمنا الزراعة الجديدة ؟ من احدث الارتفاع الذي نراه في أجور عمال الحقول إن لم يكن المعمر ؟ من يجرأ على نكران فضل هذه الشراكة ؟ "[2]، وهذا الكلام الذي يدغدغ العواطف ، كان يريد من خلاله الوصول إلى النتيجة التالية :

لهذا نرى فرنسا جديرة بالتراب الجزائري، لقد وضع ابن حبيلس المعمر في حالة المسكين الذي جاءنا من وراء البحر، وواجه مشاكل عويصة ، بل حرم نفسه من أشياء كثيرة لكي يبني لنا بيتا ويزرع لنا حقلا، ويرسم لنا مستقبلا زاهرا، ويعلمنا طرق الزراعة الحديثة[3].

كذلك واصل الإشارة للأعمال المعمرين " الريف الذي كان بورا صار يزدان بالمحاصيل الخصبة والجبال تركت جدبها لصالح خضرة جديدة (...) وهذه المساحات لم يكن فيها سوى النباتات البرية القديمة، والتي لا تجد فيها سوى مزيج كثيب من العليق والعناب البري، تحولت اليوم إلى قرى جبلية يشرفها اسم أحد علماء فرنسا ويزينها شجر البرتقال واليوسفي بثماره المذهبة، والصخور التي لم تكن تعرف شيئا سور هجمات الأمواج البحرية الغامضة

[1] ابن حبيلس ، ص ص 26– 25.

[2] نفسه، ص 26.

[3] قاصري ، المرجع السابق، ص 293.

أصبحت اليوم موانئ واسعة ومراسي غنية تحتضن الجوار الطيب للخيرات والكنوز التي لا تفرق أهي ملك لساكن أصلي أم لمعمر"[1].

ومرة ثانية يسقط ابن حبيلس في تقديم صورة مشوهة للواقع ، فهذا جول فيري [2] أحد أهم أقطاب السياسة الاستعمارية الفرنسية يصف سنة 1892 الوضع المأساوي للجزائريين بقوله " رأينا هاته القبائل البائسة التي تسلط عليها الاستعمار فأجلاها ، والحجز فأرهقها، ونظام الغابات فأطردها وقوانينه فأفقرها، سمعنا شكواهم ورأينا رأي العين بؤسهم ولمسناه لمسا (...) لم يتأثر قلبنا فحسب من رؤية هذه المناظر بل ثارت عقولنا فأدركنا بأن الجزائري تجري (كذا) أمور ليست اهلا بفرنسا تتنافى مع العدل ومع سياسة كمتبصرة (كذا) "[3].

ج – الفلاح الجزائري والمعمر الفرنسي:

هنا يتكلم عن فضل المعمر الفرنسي على الفلاح الجزائري " ثم ان الفلاح وبفضل جوار المعمر الفرنسي، قد أصبح يلبسه لباسا أفضل مما هو متعود عليه قدوار و قاعة وما شابه ذلك، والاستهلاك العام للموارد الغذائية التي ينتجها المعمر لا يفتأ بتزايد منبئا بتغذية أكثر صحية، منذ ثلاثين سنة فقط، لم نكن نجد القهوة والسكر والصابون إلا لدى ثلة من العائلات ميسورة الحال، أما اليوم فإننا لم نجدها تحت خيمة الرحالة وفي كوخ الفلاح " .[4]

ما يمكن أن نستخلصه ونسأل ابن حبيلس نفسه عن هذا الواقع غير الصحيح الذي أراد تلطيفه وتجميله رغم السواد والعتمة التي تلفه، فعن أي شعور بالرضا، الإعجاب، الاحترام يتحدث ؟ وعن أي إضافة قدمها المعمر الأوربي للجزائري ذو الأسمال البالية والأقدام الحافية، والبطون الخاوية ؟ ألم يذكر لنا بوال أودال على سبيل المثال في رحلته الموسومة

---

[1] ابن حبيلس ، المصدر السابق، ص 26_27.

[2] سياسي فرنسي وهو وزير فرنسي ولد ب 1832/4/5 وتوفي 1893 في 17 مارس وبالرغم من عديد انجزاته خاصة منها التربوية في عهد الجمهورية الثالثة الى انه كان من اشد انصار الحركة التوسعية الفرنسية ، دحو فغرور ، جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية "عصور الجديدة "، العدد 1، جامعة وهران، 2011، ص 111.

[3] منصوري ، المرجع السابق، ص 44.

[4] ابن حبيلس ، المصدر السابق، ص 28.

بصورة الجزائر أرضا وشعبا لدى رحالة فرنسي 1899 (من الجزائر إلى بوسعادة، برج بوعريريج والمسيلة)، ومظاهر الفقر والتسول والحرمان التي وقف عليها بنفسه[1].

د- قضية الفساد الإداري في الجزائر:

عبر الكاتب عن ثنائه اللامحدود للإدارة الاستعمارية، ونبه إلى ضرورة أن تحظى باحترام الجزائريين ، فقال " إن الإدارة هي حامية الرعايا الأهالي، وبأن أعلى الأمنيات ستحقق يوم تتحالف الأفكار والطموحات والمشاعر، ولاحقا أواصر الدم في شمال إفريقيا، تلك الأسس التي وضع قواعدها، أمثال: بيجو ، تيرمان ، بوتار[2] ، ليتو " ولم يوضح ابن حبيلس الأسس الضرورية بتعاون مأمول ولا جهود من ذكرهم في سبيل إيجاد حلول أفضل[3].

وفي نقطة أخرى أرجع الكاتب أسباب انحطاط الإسلام إلى عامل واحد هو الرشوة (...) وهنا نجد سماحة الكاتب مفتعلة حتى لا يثير أكثر عداء إخوانه المسلمين، وبأفكار متناثرة أبدى الكاتب امتعاضه من تعسف قانون الأهالي فقال : " نعم إن قانون الأهالي حين (...) وقد أسفر في مناطق عديدة عن نتائج حسنة "[4].

المطلب الثالث: القضايا الثقافية

المدرسة :

وفي هذا الصدد يقول بن حبيلس: " أن الاكتفاء والتعمير، فقط من اجل تحرير هذ الشعب وتنميته والرقي يعد نقصا في كرم امة متحضرة كفرنسا، كان لابد من أجل التقريب بين

---

[1] محمد السعيد قاصري ، المرجع السابق، ص 294.

[2] هو سياسي ودبلوماسي فرنسي ، ولد في فليتيشين ، كان عضوا في أكاديمية اللغة الفرنسية وأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية توفي بباريس وهو يناهز 70 عاما ، مخلوفي جمال ، السياسة الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954 ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة احمد بن بلة، وهران ، 2018-2019.، ص 31.

[3] دويدة ، الشريف بن حبيلس...، ص81 .

[4] دويدة ، المسألة الثقافية...، ص ص 171-172.

الناس ولم شملهم والتوحيد بين تطلعاتهم وترقية معاملاتهم، كان لابد من غزو العقول غزوا أخلاقيا معنويا "[1].

وهنا يقصد بن حبيلس أن المدرسة ضرورية من أجل إحداث التقارب والاندماج، كما يصف الفترة التي عاشتها الجزائر قبل مجيء فرنسا بالجهل، فتربية شعب كشعبنا الذي غاص في مجاهيل الجهالة طيلة قرون ليس أمرا يسيرا، ومهما يكن الأمر فالإدارة الفرنسية قد انطلقت في هذه المهمة التي فرضت نفسها –في الواقع–لسببين اثنين : حاجة الدولة إلى أعداد كبيرة من الموظفين الأهالي، ومن جهة أخرى فمهمة فرنسا الأولية مهمة حضارية، ولا يوجد تمدن دون تربية وتكوين أي دون تعليم، تعليم الغالب للمغلوب.[2]

ثم طرح إشكالا ما هو ملمح هذا التعليم ؟ كيف تعامل معه الأهالي هنا ؟ وماذا كانت نتائجه؟[3]، وباشر الكاتب الإجابة عن تلك الأسئلة مبررا الجهود الفرنسية في سبيل ترقية التعليم، ومدح نواياها الحسنة إزاء ذلك، ليخلص في الأخير إلى نتيجة جد ملفتة للنظر وهي ضرورة " تبيان التطور المنجز خلال 84 سنة منذ أن رفرفت الراية الثلاثية الألوان – أي الفرنسية– على الأرض الجزائرية"[4].

ثم يلح ابن حبيلس على ضرورة تعليم الأهالي لا لمحاربة الجهل والأمية بل لتحقيق الحضاري للحملة الأوربية ، ويخلص في الأخير" أن هذه الأمة – الفرنسية– التي علمت الجزائري وحضرته هي أمة جديرة بأن يرتمي في أحضانها بقوة"، فلا ندري بأي منطق يتحدث ابن حبيلس فإذا كان يتحدث بلغة المعطيات والوقائع التاريخية، فالتاريخ يشهد

[1] ابن حبيلس ، المصدر السابق، ص 31.

[2] نفسه ، ص 31..

[3] نفسه ، ص 32.

[4] دويدة، الشريف بن حبيلس...، ص 83 .

باعتراف الفرنسيين أنفسهم الذي يدافع عنهم بأن نسبة الأمية في الجزائر عشية الحملة الفرنسية تكاد تكون منعدمة تماما.[1]

ولوصف الحالة التي كان عليها التعليم في تلك الفترة، لا نجد أحسن من شهادة الفرنسيين أنفسهم، فها هو دوماس مدير شؤون الجزائر 1850م يقول: أن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشارا في الجزائر، مما نعتقد عموما وقد أظهرت علاقتنا مع أهالي المقاطعات الثلاث، أن متوسط عدد الأشخاص من جنس الذكور الذين يعرفون القراءة والكتابة يساوي على الأقل المتوسط، الذي أعطته الإحصائيات عن أريافنا... فهناك حوالي 40 % من دون شك، لكن إن لم يكن جميع الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم قد ذهبوا جميعا إلى المدرسة، وكانوا يستطيعون استظهار الأدعية وبعض آيات القرآن . [2]

أما بول برنارد مدير المدرسة العليا للمعلمين ببوزريعة سنة 1908م فيقول بشأن المدرسة الفرنسية: " المهم ... أن يأخذ الأهالي عن وطننا فكرة راقية ونقية، فلنقدم لأولادنا إذ ... معلومات حول عظمة فرنسا وقوتها العسكرية وتراثها، إن أوضاعنا سوف تكون أشد تثبيتا إذا اقتنع الأهالي بان الفرنسيين أقوياء وكرماء أنهم أفضل من من يمكن أن يسودهم"[3].

أما عن عواقب الغزو عن هذا النظام التعليمي كانت جد وخيمة، عندما احتلت فرنسا الجزائر وجدته متطور ومتقدم وما إن استقرت حتى شرعت في شن حملة عسكرية تنصيرية كبيرة على المجتمع الجزائري، ومؤسساته الاقتصادية والسياسية ومقوماته الثقافية والاجتماعية، محاولة بذلك بسط نفوذها العسكري، فقامت بهدم وتدمير كل المدارس التي

[1] منصور ، المرجع السابق، ص 48_49.

[2] آسيا بلحسين رحاوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، "دراسات نفسية وتربوية "، العدد 7، 2011، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 60.

[3] منصوري، المرجع السابق، ص 49. .

كانت قائمة من مساجد وزوايا وكتاتيب وكل شيء له علاقة بالتعليم، ومصادرة الأوقاف ونفي العديد من العلماء إلى الخارج .[1]

أما المغزى من التعليم الفرنسي في الجزائر فالدوق دومال، نجده يصرح بهذا الخصوص: "... بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن " وحسب عبد القادر حلوش: " ... فإنه قصد الوصول إلى أعماق المجتمع الجزائري والسيطرة عليه ، قامت الحكومة الفرنسية (...) عن طريق غسل أدمغة أعيانه ... فأسست لهم معاهد بباريس لتقوم بإعدادهم للمهمة المتمثلة في الوصول إلى أعماق المجتمع الجزائري والاستيلاء عليه، بأيدي جزائرية... "[2].

[1] بلحسين، المرجع السابق، ص 60.

[2] قاصري ، المرجع السابق، ص ص 295- 296 .

الخاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لكتاب "الجزائر الفرنسية كما يراها احد الأهالي لشريف ابن حبيلس" توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها في ما يلي :

– أوضاع الجزائريين كانت مزرية في الفترة التي أشرنا إليها (1830–1914م) بسبب الاستعمار الفرنسي و السياسات التي طبقها في الجزائر .

– يعتبر ابن حبيلس من النماذج التي ساهمت المدرسة الفرنسية في تنشئتها كنخبة جزائرية مثقفة ثقافة فرنسية، من اجل الدفاع عن مصالح فرنسا والدعوة للإدماج والمحافظة على مصالح فرنسا والدعوة للإدماج والمحافظة على الجزائر الفرنسية .

– إن شخصية ابن حبيلس تصنف ضمن الجيل الأول من النخبة الجزائرية المفرنسة التي اكتسبت ثقافة أوربية واقتحمت المجال السياسي منذ بداية القرن 20 م، ونشطت المشهد العام في الجزائر في إطار الإيديولوجية التي حاولت الاستفادة من مكاسب الوجود الفرنسي بالجزائر.

– الكاتب متشبع بالثقافة الفرنسية ومنبهر بحضارتها ومقتنع بضرورة الذوبان في وسط هذه الحضارة.

– يعتبر فكره مزيج من المواقف المختلفة وحتى المتناقضة، فهو يعترف بحبه لفرنسا ويبرر أفعالها في الجزائر، وحتى يقوم بتمجيدها وفي حين آخر يدافع عن الأهالي ويتكلم عن الممارسات الاستعمارية في حقهم.

– التأكيد على التغير الحاصل في فكر ابن حبيلس من التطرف إلى الاعتدال، نتيجة عوامل متعددة أبرزها الاقتناع بعدم جدوى الأفكار التي كانت تنادي بها جماعة النخبة الفرانكفونيـــة في ظل بروز التيار الاستقلالي والإصلاحي ذو الطروحات الواقعية في ثلاثينيات قرن 20.

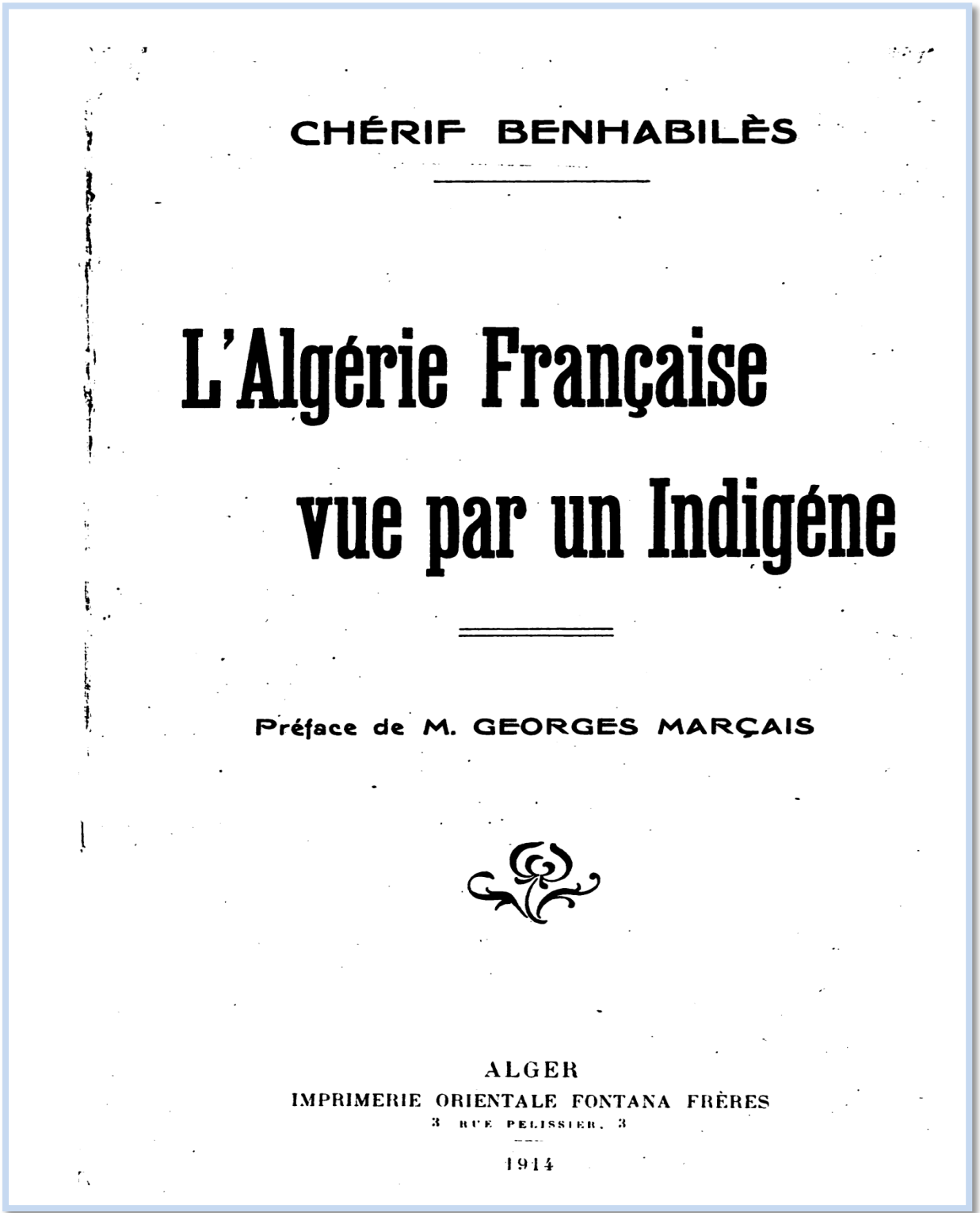
الملاحق

الملحق(1) صورة الشريف بن حبيلس [1]



[1] http://www.senat.fr/senateurbenhabules-cherif, op.cit.
اطلعنا عليه يوم : 3 جوان 2022 على الساعة الواحدة صباحا

الملحق (2) واجهة الكتاب (النسخة الأصلية)



CHÉRIF BENHABILÈS

L'Algérie Française vue par un Indigéne

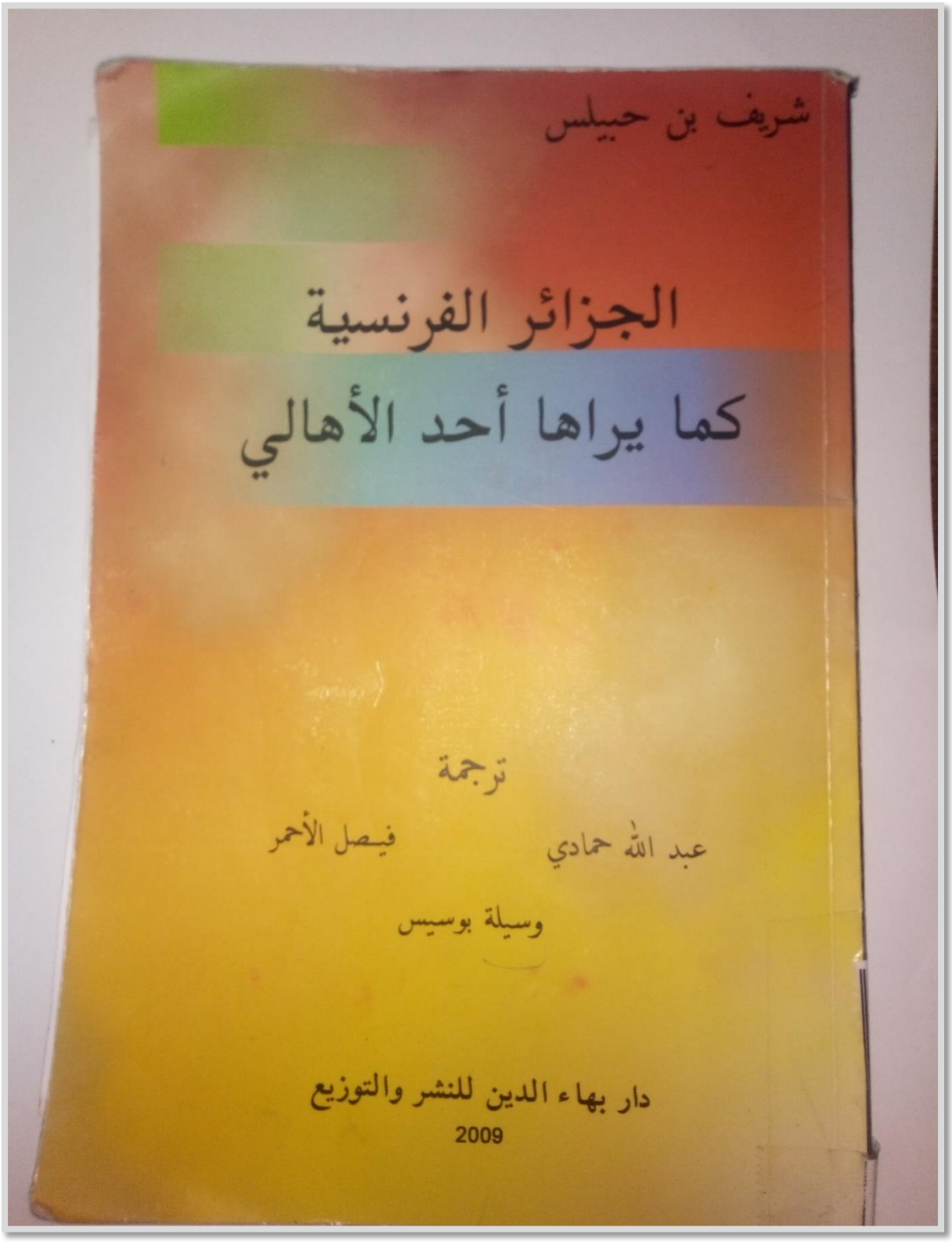
Préface de M. GEORGES MARÇAIS

ALGER
IMPRIMERIE ORIENTALE FONTANA FRÈRES
3 RUE PELISSIER, 3

1914

Chérif ben habilés ,l'Algérie française vue par un indigène, édition Fontana, Alger 1914.

الملحق (3) واجهة الكتاب (النسخة المترجمة)



قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

- ابن حبيلس الشريف، الجزائر فرنسية كما يراها أحد الأهالي ، ط1، تر: عبد الله حمادي فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة 2009.
- خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- ابن العقون عبد بن ابراهيم ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1936، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

ب- المراجع العربية:

- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر1830- 1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر 2006.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.
- .....، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م ، ج3 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998.
_ .....، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2، 1900_1930 ، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
_ .....، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998.
- قرين مولود، عمر بن قدور الجزائري دوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1886-1932م) ج1، ط1، دار الخليل العلمية، الجزائر 2013.
- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ المعاصر 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2014.

ج- المراجع الأجنبية:

- Déjeux Jean , Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française, KARTHALA Editions, Paris 1984.

د- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1 أطروحات الدكتوراه:

- دويدة نفيسة ، المسالة الثقافية في الجزائر من منظور التيار الليبرالي للحركة الوطنية (1927-1945) ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، في التاريخ المعاصر، ببوزريعة، 2009-2010 .

- ذياب هشام ، دور النخبة الجزائرية بالمشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019-2020.

- مخلوفي جمال، السياسة الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954 ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة احمد بن بلة، وهران ، 2018-2019

2 رسائل الماجستير :

- معزة عز الدين ، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية، مرحلة الاستقلال 1899-1985، أطروحة ماجستير قسم التاريخ الإخوة منتوري، قسنطينة ، 2004-2005.

3 مذكرات الماستر :

- بركاوي علي خولة ، لوصف سعاد، المناورات الديغولية للإجهاض ثورة التحرير الجزائرية من خلال مشروع بقسنطينة وسلم الشجعان (1952-1962)، مذكرة لنيل شهادة ماستر.

- موادنة سليمة و رقام بوثينة ، الاتجاه الإدماجي في الحركة الوطنية الجزائرية وانعكاساتها في القضية الوطنية ، 1900-1939، مذكرة لنيل شهادة الماستر، التاريخ الحديث والعاصر جامعة 8 ماي 1945، قالمة 2019-2020.

- ابن التومي منى ، قوانين ومشاريع التجنيس الفرنسية ومواقف الجزائرية منها (1865-1936) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تخصص تاريخ الجزائر المعاصر والحديث ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة 2015-2016.

- ابن مادي مروة ، مقدم سمية ، الاستيطان الأوربي في الجزائر وآثاره على المجتمع الجزائري (1834_1870) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، جامعية أحمد دراية أدرار ، 2019-2020.

- بشير سعاد ، مقطع شريفة ،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي (1830-1870) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ،تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر ،جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي ، 2020-2021 .

- حسني حياة و حرزي سارة، أساليب السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر 1830_1914م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة 2016-2017 .

- سعدون جهاد الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي 1830م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص:تاريخ معاصر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013-2014 .

- لخضاري رتيبة، السياسة الفرنسية الاقتصادية وأثرها في المجتمع الجزائري 1830-1914م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، جامعة المسيلة، 2013-2014 .

- منصور البشير، النخبة الجزائرية الفرانكفونية، الشريف بن حبيلس أنموذجا 1891-1959م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف ، المسبلة ، 2017-2018.

- مواسي ياسمين و زغير حفصة، السياسة الاستعمارية بالجزائر في عهد نابليون الثالث 1852-1870م / مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، 2020-2021.
- نمار وردة ، قانون التجنيد الإجباري 3-2-1912 وأثره على القضية الجزائرية ، مذكرة مكتبة لنيل شهادة الماستر ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2015-2016.
- وضحة الويزة و بولقدام دليلة ،التحولات الاجتماعية والثقافية في الجزائر (1830-1900م) ،مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر تخصص : تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بو نعامة ،خميس مليانة ، 2016-2017 .
- يهوني قمر و حمودي فتيحة ، إسهامات الجزائر في النهضة المشرقية ما بين 1830-1920م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المقاومة الحركة الوطنية ، جامعة يحي فارس المدية، 2020-2021.
_ نعامنية أشواق و قواسمية شريفة ، أوضاع الجزائر السياسية مطلع القرن العشرين 1900 - 1919م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر ، جامعة 8 ماي 1945، قالمة ،2019-2020.

د- المقالات:

- أقحيز عامر ، المؤرخ شارل اندري جوليان ودوره في كتابة تاريخ الجزائر ، "بحوث ودراسات العلمية"، العدد 2، قضايا تاريخية ، 2016.
- أيت حبوش حميد ، قانون التجنيد الإجباري 1912، دراسة في ظروف صدوره ومواقف الجزائريين منه، "الحوار المتوسطي" ، المجلد 9، العدد 2، جامعة وهران ، 2018.

- الحواس الوناس ، الأوضاع الاقتصادية للجزائر بين سنوات 1830-1930، "مجلة الحكمة للدراسات التاريخية "، المجلد 1، العدد1، جامعة البويرة ، 2013.
- بوجمعة أكرم ، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية، العدد 28، الجزائري ، 2016/ .
_ عبيد بوداود ،اليكس دي طوكفيل قرائة في بعض أفكاره ومواقفه ، "مجلة القرطاس "،العدد الثاني ، جامعة معسكر، 2015،
- دويدة نفيسة ، الشريف بن حبيلس آرائه و اهتماماته الفكرية ، "إنسانيات" ، عدد مزدوج 72،73، 2016 .
- طرشون نادية ، سياسة نابليون الثالث العربية، "مجلة دراسات وابحاث "، العدد 26، جامعة يحي فارس ، المدية ، 2017 .
- لونيسي إبراهيم ، مصطفى بن التهامي ،(1788-1866) ، "عصور" عدة 3، جامعة الجيلالي لياس، سيدي بلعباس ، 2003.
- سلامي هجيرة ، مذكرات الراحل فرحات عباس ودورها في كتابة تاريخ الجزائر، "مجلة تاريخ العلوم"، العدد 3 ، مجلة 5، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، 2020.
- سلماني عبد القادر ، سياسة الأرض المحروقة وأثرها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر ، 1830- 1847، "مجلة دراسات" ، العدد 3 ، المجلد 7، جامعة طهارى علي محمد ، بشار ، الجزائر.
- فغرور دحو ، حوال فيفري مهندس الامبراطورية الفرنسية"عصور الجديدة "، العدد 1، جامعة وهران، 2011.
- قاصري محمد السعيد ، النخبة الجزائرية الفرانكفونية بين التطرف والاعتدال ، شريف حبيلس نموذجا، 1891-1959، "مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية"، العدد 13، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017.

– رحاوي آسيا بلحسين ، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، "دراسات نفسية وتربوية "، العدد 7، جامعة ملود معمري، تيزي وزو ،2011.

الفهرس

الفهرس:

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
المبحث الأول: أوضاع الجزائر ما بين سنتي 1830 – 1914م	6
المطلب الأول: الأوضاع السياسية	6
المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية	12
المطلب الثالث: الأوضاع الثقافية	18
المبحث الثاني: الدراسة الظاهرية للكتاب وتقييمه	23
المطلب الأول: التعريف بالمؤلف	23
المطلب الثاني: جوانب من نشاطه السياسي والثقافي	27
المطلب الثالث: البطاقة الفنية للكتاب والتقييم	30
المبحث الثالث : أفكار ابن حبيلس من خلال كتابه	35
المطلب الأول: القضايا السياسية والعسكرية	35
المطلب الثاني: القضايا الاقتصادية والاجتماعية	40
المطلب الثالث: القضايا الثقافية	43
خاتمة	48
الملاحق	50
قائمة المصادر والمراجع	54
الفهرس	61